صورة الأخلاق الإسلامية في فلسفة ليفيناس
نقد الفصام الفلسفي

دكتور/ عصام كمال عبده محمد المصري
أستاذ مساعد الأخلاق الإسلامية
كلية الآداب جامعة دمنهور

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول ومن حرمان التوفيق.

الملخص

خصص إيمانويل ليفيناس حيزاً واسعاً من فلسفته للكتابة بشكل تأملي متميز عن أخلاقيات التعامل مع الآخر ، وحرص في ذلك على غرس قيم التسامح ، ونبذ العنف ، والقتل. واهتم اهتماماً كبيراً بالغيرية ، وانزلها مكانة متميزة حيث تتصدر الأخلاق الغيرية مقولاته الفلسفية وهو ما جعله فيلسوف الأخلاق أو فيلسوف الغيرة.

اعتبر التراث اليهودي الذي اعتنقه بمثابة الحجر الأساسي في فكره وفلسفته ، وقد تجلى ذلك عنده في مسألة الاحترام والتعامل مع الآخر اليهودي فقط ، وهنا نلمس الفصام الفلسفي عنده ، مع أن الإسلام ولأسباب موضوعية أكثر الأديان تأثيراً في حركة التاريخ ، لقد كانت صورة الأخلاق اليهودية حاضرة في فلسفته ولو أمعنا النظر لوجدنا أنها نفس الصورة الأخلاقية الإسلامية ، غير أن التعصب والانحياز جعله لا يلتزم في مذهبه ومبادئه بالصورة الأخلاقية للإسلام ، وحين ينحاز المذهب فما أكثر عثراته وتناقضاته.

حاولت هذه الدراسة إيضاح صورة الأخلاق الإسلامية في فلسفة ليفيناس وإظهار الفصام الفلسفي في مذهبه من خلال حديثنا عن: الحرية الأخلاقية ، والتأكيد على قيمة التربية للأنا والآخر ، وتعزيز التسامح والمحبة ، وأخيرا مبدأ المسؤولية المتبادلة عند ليفيناس في طرح فلسفي من منظور الأخلاق الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: إيمانويل ليفيناس ، الأخلاق الإسلامية ، الأنا ، الآخر ، التسامح ، المحبة ، المسؤولية ، اليهودية ، الإسلام.

Depiction of Islamic Ethics in the Philosophy of Levinas: Critique of Schizo-Philosophy

Dr.. Essam Kamal Abdo Mohamed Al-Masry
Assistant Professor of Islamic Ethics
Faculty of Arts, Damanhour University

Emmanuel Levinas' focus on the ethics of the interaction with the Other, forgiving spirit, rejection of violence and the significance of altruism earned him the title 'philosopher of ethics and altruism'.

Unfortunately, however, his specualive attention is only given to the Other in Judaism not in the other religions such as Islam. This reveals a split or double standards in his philosophy.

This study analyses the bias in his depiction of Islamic principles and ethics, ignoring Islamic forgiving spirit, ethical freedom, educational upbringing tenets, and collaborative responsibility.

Keywords: Levinas, Islamic Ethics, Self, Other, Forgiveness, love, the responsibility , Judaism , Islam

المقدمة.

أسس ليفيناس فلسفته الأخلاقية على مبادرة الآخر . وهذا الأخير أعاد له ليفيناس الاعتبار بعد أن غيبته التقاليد الفلسفية، وعمدت إلى تهميشه وإقصائه بقصد أو بغير قصد . وسلك ليفيناس بذلك مسلك الموجود بدل الوجود، مبرزاً تجليات العلاقة بين الأنا والآخر ممثلة في: الصداقة ، والمحبة ، والعطاء الإنساني المليء بالخير والطيبة والسّلام .واعتبر التراث اليهودي الذي ترعرع فيه بمثابة الحجر الأساس، في فكره وفلسفته حيث استقى مشروعه الفكري والفلسفي منه ، أي أن الدين اليهودي كان له أثره على فكره ، ومن هنا كانت للديانة اليهودية الصبغة الأساسية والأثر الكبير في مختلف كتابته وأعماله ، فنجد أن التوراة تحتل مكانة كبيرة في سياق رؤيته الفلسفية الدينية ، وهنا نجد دور التعالي الديني لدى ليفيناس.

وقد تجلي الأثر اليهودي عند ليفيناس في مسألة الاحترام والتعامل مع الآخر – اليهودي فقط لا غير – ومن هنا نجد الفصام الفلسفي عند ليفيناس ، حين يتحدث عن احتواء الآخر في الوقت الذي همش فيه الآخر – الإسلامي – كلياً ، مكتفياً بالحديث عن اليهودية التي ينتمي إليها ويعتنقها ، وتتساءل هذه الدراسة عن علاقة الموقف الأيديولوجي لليفيناس بتهميشه للإسلامَ ؟ ولماذا أخرجه من سياق فلسفته الأخلاقية ؟ مع أن الإسلام – لأسباب موضوعية صرفة – أكثر الأديان تأثيراً في حركة التاريخ وهو الدين الذي يعترف بالتمايز والاختلاف الموجود بين الشعوب، ولا يعمل على إلغائه، بل يقر به بوصفه نوعاً من الاختلاف الذي يؤدي إلي التقدم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (١) ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩ ﴾ (٢)﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١ ﴾ (٣) فضلاً عن أن الإسلام لا يجاهد من أجل إلغاء الآخر، بل يجاهد فقط المعتدين والقتلة والظالمين ، ويحث المؤمنين به على التواصل مع الآخر ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ ﴾ (٤) إلي غير ذلك من الأسباب الموضوعية التي تؤكد عالمية أخلاق الإسلام: مثل الحرية المنضبطة، الشورى، المساواة، العدالة والإنصاف بصرف النظر عن القبيلة أو الجنس

أو اللون أو المعتقد ...إلخ والتي تجاهلها ليفيناس ، فتحدث عن عناصر الأخلاق المتمثلة في: الحرية الأخلاقية ، والتأكيد على قيمة التربية للأنا والآخر ، والتأكيد على قيمة التسامح والمحبة سواء للأنا أم للآخر ، ومبدأ المسئولية المتبادلة بين الأنا والآخر من الجانب اليهودي فقط ، وهي جوانب كانت لكل الأديان السماوية والتي لم تقتصر على الدين اليهودي فقط.

إن الانحياز الأيديولوجي – وما أقوى ضغطه – هو المسئول عن تخلي بعض الفلاسفة عن أسمى رؤاهم ؛ من أجل بناء مذهب فلسفي منحاز، وحين ينحاز المذهب فما أكثر عثراته وتناقضاته ! لقد كانت صورة الأخلاق اليهودية حاضرة في فلسفة ليفيناس ، ولو أمعنا النظر لوجدنا أنها نفس الصورة الأخلاقية للإسلام ، غير أن الفصام الفلسفي والانحياز الأعمي لليفيناس جعله لا يلتزم بمذهبه ومبادئه وأن يعترف بالصورة الأخلاقية للإسلام وهنا كثرت عثراته وتناقضاته !. ولو كان ليفيناس تعمق في الأخلاق الإسلامية من خلال معلومات دقيقة، لكان بإمكانه أن يكتشف أبعاداً فلسفية عميقة الغور كانت كفيلة بتغيير موقفه الذي تجاهل فيه الإسلام في مؤلفه الذات والأخر إذ لم يذكره في سياق أخلاق الأديان البشرية التي اختتمها باليهودية. وهو ما نتناوله في هذه الورقة البحثية بالتفصيل.

خصص إيمانويل ليفيناس حيزاً واسعاً من فلسفته للكتابة بشكل تأملي ومتميز عن أخلاقيات التعامل مع الآخر، وحرص في ذلك على غرس فكرة التسامح ، ونبذ فلسفة العنف والقتل ، مستهجنا حروب البشر التي تأتى على الأخضر واليابس ، فاهتم اهتماماً كبيراً للغيرية وأنزلها مكانة متميزة حيث تتصدر الأخلاق الغيرية مقولاته الفلسفية ، وأصبح الآخر قضية محورية في جُل أعمالة وكتاباته الفكرية ، وهو ما جعله فيلسوفاً متميزاً يلقب في الوسط الفكري بفيلسوف الأخلاق أو فيلسوف الغيرية ، فطالب بإعادة الاعتبار في تعاملنا مع الآخر، وفى مسؤوليتنا تجاهه، وفى الحق بالاعتراف به، وفى احترامه كآخر مختلف عنا، مع ضرورة الإصغاء إليه والحوار معه ، فمن غير الأخلاق إقصاء الغير ، أو تهميشه ، أو إدماجه في بوتقة الذاتية.

أعطى اهتماماً للمهمشين والمنبوذين، واحتفى بالـــــ " الآخر" الذي أقصته الميتافيزيقا الغربية، واحتوته مركزياتها في قلاع الذاتية فالنزاع الشديد نحو الوحدة والأحادية قد رافق التقاليد الفلسفية والميتافيزيقية الغربية منذ القِدم عبر اهتمامها بالعقل والوعي ، أو الذات و " الأنا " وهذا ما يشكل طرحاً أخلاقياً خطيراً نظراً لإقصاء الكثرة.

تبرز فلسفة إيمانويل ليفيناس الأخلاقية بجرأة وشجاعة، كرد أخلاقي فلسفي حاسم، منزّلاً الآخر منزلة مهمة في الفكر الفلسفي. معنى هذا أن الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس سبيل مغاير لا يُمجد الأحادية بقدر ما يقف ضدها إنه تمادٍ على المركزيات بإثارته لعلاقتنا مع الآخر باستحقاقه للدرس والفحص، بأصالته إلى جانب الذات. حاول أن يبحث في شروط تحسين الذات ، وعلاقتنا بالآخر ، وأن نتغاضي عن كل التجاوزات التي ارتكبت في حق الآخر، من خلال تاريخ طويل من طمس هويته وعدم الاعتراف بغيريته المختلفة ، واعتبر أن الاعتراف بالآخر هو شرط لتأسيس علاقة أخلاقية معه ، بل إن علاقتنا الأخلاقية معه تسبق علاقتنا الأنطولوجية بذاتنا والعالم. فالذات لم تمت ولم تستطع كل المعطيات الموضوعية أن تمحوها، ولكنها في الوقت عينه لم تعد كما كانت، لأنها قبلت أن تتطعم بمعطيات العلوم الحديثة . الذات التي عظمها الفلاسفة خرجت جريحة فقط، وقد تخلت عن حقيقتها المطلقة لتقبل بتواضع حقيقتها الذاتية التي مرت عبر معمودية الغير، التوسط هو إذاً قبول الفلسفة للآخر وسماع كلمته.

ومما دفعني إلى اختيار هذه الورقة البحثية جملة من الأسباب منها:

١ – البحث عن الصورة الحقيقة للأخلاق في فلسفة إيمانويل ليفيناس محاولاً تقديم الأبعاد الأخلاقية في فلسفته ، تلك الأبعاد التي تتسم بطابعها الإنساني في مقاربة منهجية كانت عنده بوازع ديني يهودي متجذر في عمق فكر ليفيناس ، والذي لا يبتعد عن الدين الإسلامي ؛ لأنها جميعاً أديان سماوية من عند الله سبحانه وتعالي ، ولهذا كانت فلسفته تدور حول: التسامح ، والخير ، والمحبة ، والاعتراف بالآخر ، وكلها مبادئ أخلاقية في صميم الدين الإسلامي الذي همشه وأبعده نتيجة لفصام فلسفي في رؤيته وفكره.

٢ – إن فلسفة إيمانويل ليفيناس قوبلت بتجاهل كبير عند كتاب اللغة العربية، فلم يُكتب عنها بالعربية حتى مطلع الألفية الجديدة (٥) حيث يمكننا القول إن فلسفة ليفيناس تم تجاهلها في المشهد العربي بصورة لافتة للنظر، خاصة عند مقارنتها بفلسفة جان بول سارتر التي لاقت اهتماماً كبيراً في الكتابات العربية علماً بأن سارتر نفسه يعترف بفضل إيمانويل ليفيناس عليه.

٣ – عدم وجود دراسة كافية حول هذا الموضوع تحديداً ، والعناصر الأخلاقية في فلسفة إيمانويل ليفيناس. أو الإشارة في أي دراسة أكاديمية علمية للبعد الإسلامي المهمش في فلسفته.

٤ – اختلاف الرؤي ووجهات النظر حول إيمانويل ليفيناس ، فقد وقف الباحثون في مفترق الطرق على تصنيفه كونه فيلسوفاً ، أو مفكراً دينياً فقد أصبح التشابك بين

الأخلاق والدين في فكر ليفيناس عميقاً ومعقداً لدرجة أنه أصبح مسألة خلافية بالنسبة لبعض الباحثين. ولذلك أثيرت فكرة هذه الورقة البحثية من خلال عرض أسس فلسفة الأخلاق عنده، والتي حاولت من خلالها تقديم العمق والأبعاد الإسلامية الخفية في فلسفة ليفيناس تلك الأبعاد التي أراها تتسم بطابعها الإنساني في مقاربات منهجية بنزوع ديني متجذر في عمق الطرح الليفيناسي. التي لا تبتعد عن الدين الإسلامي الحنيف.

٥ – التشابك الأخلاقي الديني الذي دخل في غماره ليفيناس هو أكثر تعقيداً من مفهوم التماثل الأخلاقي الأحادي الجانب، وهو ما سأحاول توضيحه في هذه الدراسة.

٧ – جاء تناول ليفيناس للأخلاق ذا أبعاد ميتافيزيقة مختلفاً عن التناول الفلسفي التقليدي الذي عدّ الأخلاق قاعدة السلوك الإنساني ، وجاءت تأويلاته لما ورد من نصوص في الكتاب المقدس متوافقة مع فلسفته ليبعد الصورة الأخلاقية الإسلامية عن المشهد ، لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك شكلياً ، وإن كان المضمون يعبر عن ذلك ، الأمر الذي دفعنا إلي مزيد من البحث بمنظور إسلامي حول هذا الأمر.

– أهمية الدراسة.

يكتسب هذا البحث أهميته ؛ حيث يلقى الضوء على الصورة الأخلاقية الإسلامية المستترة في فلسفة إيمانويل ليفيناس الأخلاقية التي تم تجاهلها، فقليل هم الكُتَّاب العرب الذين تناولوا فلسفته وبحثوا أسس أطروحاتها الدينية والفلسفية ، كما تمكن أهمية دراسة الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس " في الكشف عن كيفية انعطافه بالفلسفة إلى التمحور حول الأخلاق وجعلها الفلسفة الأولى. كما أن غموض فلسفة إيمانويل ليفيناس يمثل دافعاً آخر لهذه الدراسة، فهي فلسفة غامضة في متنها، غير واضحة في مقصدها، لذلك كانت هذه الدراسة ترجو جلاء بعضاً من هذا الغموض ، في طرح فلسفي ؛ لتسليط الضوء علي أبعاده الإسلامية وخصائصه.

لا يسع القارئ لفلسفة الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس إلا أن يشعر بالدهشة أمام زخم المفاهيم وزحمتها ، والبناء النسقى للأفكار والموضوعات والأطروحات الفلسفية عنده ، معترفاً من البداية أن ترجمة نص من نصوص فلسفته الأخلاقية يُعد بمثابة مغامرة فلسفية غير مضمونة العواقب محفوفة بالحذر والتأني ، فلا هو بالفيلسوف الواضح المتن ، ولا هو بالمفكر الجَلي المقصد. ولا يشفع لنا في هذه المغامرة إلا شغفنا بنصوصه وفلسفته الأخلاقية المستمدة من الدين اليهودي آملاً في إلقاء الضوء عليها ؛ لتوضيح الجانب الإسلامي الخفي والمهمش ، خاصةً أن كل المواقف الفلسفية لدى إيمانويل ليفيناس تعتمد مقدماً على الأخلاق. فالأخلاق ليست فرعاً من الفلسفة وإنما

هي الفلسفة الأولى – كما ذكرت – التي يجب أن نركز عليها من خلال منظومة القيم ، إنها جاءت كبديل للأنطولوجيا التقليدية. بل قدم – في بعض الأحيان – الأخلاق على الدين واستبدلها به ، فلم يجعل التعاليم التلمودية مصدراً للأخلاق ؛ لأن التجلي المقدس لوجه الآخر هو مصدر كل فعل أخلاقي ، لا المقدس الديني التوراتي أو التلمودى حتى عُد فيلسوف(أخلاقية الأخلاق). وإن كانت أفكاره المستمدة من اليهودية هي عينها ما دعي له الدين الإسلامي ، ولم يمنعه من الاعتراف بذلك سوي الميل الشديد لليهودية والتحيز غير المبرر.

- إشكالية الدراسة.

كان لابد من الإجابة عن مجموعة من التساؤلات ، والتي منها السؤال المحوري التالي. ما الصورة الأخلاقية الإسلامية المهمشة في فلسفة ليفيناس ؟ ليتفرع منه العديد من التساؤلات والتي منها:

١- ما منابع فلسفية إيمانويل ليفيناس الأخلاقية ؟

٢- ما البعد الأخلاقي في علاقة الأنا بالآخر في فلسفة إيمانويل ليفيناس ؟

٣ – لماذا غابت لصورة الأخلاق الإسلامية في فلسفة ايفيناس ؟

٣- ما العناصر الأخلاقية في فلسفة إيمانويل ليفيناس ؟

٤- لماذا همش الدين الإسلامي الذي دعا لنفس العناصر الأخلاقية التي دعت اليهودية لها ؟

٤- ما الرؤية النقدية التي يمكن أن نقدمها لفلسفة الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس من منظور الرؤية الإسلامية الصحيحة ؟

٥- كيف نكون مسؤولين عن الآخر مسؤولية كاملة من وجهة نظر إيمانويل ليفيناس ؟

٦- ما علاقة المسؤولية بالأخلاق ؟ وما هي طبيعة أخلاق المسؤولية الإسلامية التي همشها ليفيناس؟

٧- كيف نتحمل واجبات أخلاقية تجاه الآخر دون معرفة حقيقية ودقيقة لموقفنا من الذات في الفكر الإسلامي ؟

- الدراسات السابقة:

لا أدعي أنني أول من تناول فلسفة إيمانويل ليفيناس بالبحث والدراسة ، فقد سبقني إلي ذلك بعض من الدارسين – رغم قلتهم – غير أن هذه الدراسات كانت حافزاً ودافعاً وزاداً لي في طريق تحسس أفكار ليفيناس ، ومن باب الموضوعية والإنصاف ، أشير إلي أهم هذه الدراسات السابقة علي النحو التالي:

١ – محمد بكاى: أخلاقيات التعامل مع الآخر تأملات في فلسفة الغيرية عند إيمانويل ليفيناس، وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، العدد (٤٦) ، سلطنة عمان ، ٢٠١٤.

سلَّط فيها المؤلف الضوء علي ليفيناس الذي بقي تراثه الفائض ثراءً غير شائع بين حشد التيارات المعاصرة المترصدة للمشهد الفلسفي مثل تفكيكية دريدا أو جينالوجيا فوكو أو هرمنيوطيقا غادامير وغيرهم ، وأوضح أنّ ليفيناس اهتمّ اهتماماً جليّاً للغيرية، وأنزلها مكانة متميّزة، حيث تتصدر إتيقا الغيرية مقولاته الفلسفية، وأصبح الآخر قضية محورية في واجهة أعماله وكتاباته الفكرية، وهو ما جعل ليفيناس فيلسوفاً متميزاً يُلقب في الوسط الفكري بفيلسوف الإتيقا أو فيلسوف الغيرية تمييزاً له عن فلسفات التفكيك والتأويل والجينالوجيا.

تناول المؤلف في دراسته فلسفة ليفيناس والمنعطف الأخلاقي من الوجود إلي الموجود ، وفلسفة اللاعنف في مواجهة العنف ، والمسؤولية الأخلاقية نحو الآخر. وأشار إلي أن الانخراط في عملية الحوار والمحادثة مع الآخر ستهمل مسألة وجود كل واحد من الطرفين على جهة . ذلك الانخراط هو ارتماء في الكلي ومغامرة. وأكد المؤلف في خاتمة دراسته علي أن ليفيناس قدّم للدرس الفلسفي المعاصر أعمالاً جليلة وتحاليل رائعة ، فيما يخصّ مبحث الأخلاق، بانكبابه على العلاقة الإتيقية التي تربط الذات بنظيرها، وصوغه لمقولات الوجه والمسؤولية والمساواة والعدالة ، والعلاقات البشرية غير المشروطة مثل : الصداقة ، والضيافة ، والغفران والتكفير عن الآثام. حيث أسس ليفيناس فلسفته الأخلاقية على مبادرة الآخر . وهذا الأخير قد أعاد له فيلسوفنا الاعتبار بعد أن غيبته التقاليد الفلسفية، وعمدت إلى تهميشه وإقصائه. ولا شك أنها دراسة قيمة ، غير أنها لم تتناول المرجعية الدينية والفلسفية للأسس الأخلاقية عند إيمانويل ليفيناس ، ولا العناصر الأخلاقية فى فلسفته ، وهو ما أثارته هذه الورقة البحثية بتوسع.

٢ – فضيلة سنوسى: الأخلاق التطبيقية عند إيمانويل ليفيناس ، مجلة متون، العدد (٩)، جامعة سعيدة، الجزائر، ٢٠١٤.

أكدت فضيلة سنوسى في دراستها على أن العلاقة بين الأنا والآخر من أهم القضايا التي شغلت بال عدد كبير من الفلاسفة، من أجل إعادة التأسيس لها على أسس إتيقية وقيم إنسانية، ولو أن هناك من اعتبر أن الصراع بين الأنا والآخر هو عنف أصلي تكويني بنيوي.

توصلت الدراسة رغم صغرها إلي أن ليفيناس يدعو في فلسفته الأخلاقية إلى ضرورة مد جسور التواصل والتصافي بين الذوات والأمم لأجل بناء الهوية الإنسانية

الكونية التي تحمي مسؤولية المحافظة على الحياة الأرضية وتحقيق وصية الاستخلاف، والائتمان والتعمير. وأن العلاقة التي تربط الذات بالآخر – عند ليفيناس – يجب أن تؤسس على الطيبة، أن تكون طيبا هو أن تكون للآخر. بالإضافة إلي رفض ليفيناس فكرة استبعاد قتل الآخر ؛ لأن القتل مستحيل إيتيقيا، فمسؤولية الذات نحو الغير أو الآخر تلزمها بالاعتراف بوجوده، والتحاور معه وعدم إقصاءه وعدم قتله، وإن تطلب الأمر التضحية من أجل بقاء الآخر، وإن كان من الإنساني أن نحب الآخر ونعترف بوجوده، ونتضامن مع الفقير ونتعامل مع الآخر وفق مبادئ الرحمة والعدالة والاحترام، فإنه من الضروري أن تتجسد هذه الإنسانية في تعامل الرجل مع المرأة حيث يأمل ليفيناس في إقامة علاقات اجتماعية قائمة على الصداقة والوحدة والتقارب من خلال اللقاء المباشر مع الآخر.

ولا شك أنها دراسة قيمة ، غير أنها لم تتناول: الحرية الأخلاقية ، والتأكيد على قيمة التربية للأنا والآخر ، ومبدأ المسئولية المتبادلة بين الأنا والآخر ، وهو ما أثارته هذه الورقة البحثية بتوسع.

٣ – سلمى بالحاج مبروك: ايتيقا المسئولية تجاه الآخر عند إيمانويل ليفيناس أو الأنا حارس الآخر ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥.

اهتمت سلمى بالحاج مبروك في هذه الدراسة بالعلاقة بين الذات والغير ، وترصد التحولات الكبرى التي دفعت إلى إنهاء حالة الحصار والارتهان التي كان يعاني منها الغير ، ودشنت أرضية مضيافية ضمن أفق إيتيقي يتم فيه تحسين العلاقة بالذاتية واستقبال الآخر ، بوصفه حدثاً ضمن نطاق الذات ، وتحمل مسؤولية الاعتناء به وتسمين دور الوساطة التي يؤديها الوجه في إعادة تشكيل الهوية الإنسانية ، وتبرئة الذمة الأصلية ، وهذا من خلال البحث في مشكلة التأسيس الإيتيقي للمسؤولية الذاتية تجاه الغير.

وتتساءل سلمى بالحاج مبروك في دراستها كيف قام ليفيناس بالانتقال من الانطولوجيا بلا ايتقا إلى الايتقا بلا انطولوجيا ؟ وما هي المسالك الايتيقية التي اتبعها لإخراج الغير من الاحتقار والاستبعاد إلى الاحترام والحراسة ؟ ولماذا اعتمد ليفيناس على مفهوم الوجه بوصفه منبع اللقاء بين الذات والغير ؟ ثم إلى أي مدى ساهم مبدأ المسؤولية في اكتشاف مفهوم الغيرية الجذرية والتخلي عن ذاتية الأنا ؟ ولا شك أنها دراسة قيمة ، غير أنها لم تتناول رؤية نقدية لفلسفة الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس ، مكتفية بتوضيح علاقة الأنا بالآخر فقط. وهو ما تناولته بالتوضيح في هذه الورقة البحثية.

– محتوى الدراسة.

لتحقيق أهداف هذه الدراسة ، ولتدقيق صِدْق فروضها وتساؤلاتها ، وفي ضوء المنهجية العلمية ، التي التزم بها تم تقسيم الدراسة إلي العناصر التالية:

أولاً: منابع فلسفة إيمانويل ليفيناس الأخلاقية.

ثانياً: البعد الأخلاقي في علاقة الأنا بالآخر ، وتعمد غياب الصورة الإسلامية في فلسفة إيمانويل ليفيناس.

ثالثاً: العناصر الأخلاقية (اليهودية) في فلسفة إيمانويل ليفيناس وصورتها المقابلة في (الإسلام)

رابعاً: رؤية نقدية لفلسفة الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس.

– منهج الدراسة.

تحقيقاً للمنهج الذي حددته في عنوان الدراسة فقد اعتمدت على المنهج التحليلي بغية تحليل مقولات إيمانويل ليفيناس ، والوقوف على حقيقتها سواء ما ترجم إلى العربية ، أم ما اعتمدت عليه من نصوصه الأجنبية ، بالإضافة إلى المنهج النقدي الذي سعيت إليه في كل ما استدعى النقد من أفكار إيمانويل ليفيناس الأخلاقية .

أسال الله عز وجل أن يغفر لنا ما وقع منا من خطأ ، أو تقصير ، أو قصور ، وأن يتقبل جهدنا المتواضع ، وأن يعيننا على الإخلاص في القول والعمل ، ونعوذ بالله العلي العظيم من فتنة القول ، ومن حرمان التوفيق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أولاً: منابع فلسفة إيمانويل ليفيناس الأخلاقية. (٦)

تشبع إيمانويل ليفيناس بالثقافة والتراث الأوروبي بمختلف الأفكار ، والتيارات الدينية ، والفلسفية التي ساهمت بقسط كبير في تشكيل وبلورة مشروعة الفلسفي الأخلاقي الواعد. من خلال استفادته من التراث اليهودي وخاصة الكتاب المقدس (التوراة) الذي اعتبره بمثابة مرجعية فكرية لمشروعة الفلسفي من جهة وإضفاء الجانب الأخلاقي عليه من جهة أخرى ؛ لتجسيد مشروع أخلاقي شاسع المباحث ، وكثيف الدلالات ، يلامس قضايا أخلاقية مثيرة للجدل تستحق العناية، تتمثل في إدراكه للمواضيع ذات الصلة بالواقع الإنساني في لحظاته الحرجة ، وواقعه المتأزم، وهى قضايا متعلقة بالسلم والعدل ، مقابل الحرب والظلم إنها فلسفة اللاعنف التي دافع عنها ليفيناس بحرارة شديدة. (٧)

كما أن التيار الفينومينولوجى والوجودي لكل من هوسرل وهيدجر، كانا حاضرَين بقوة في مشروعه الفلسفي وحاول تجاوزهما من خلال إقراره بضرورة الربط بين ما هو وجودي ظاهري ، بما هو إنساني أخلاقي (٨) كل هذه المصادر والظروف الخاصة لليفيناس أدت دوراً بارزاً في التأسيس للأخلاق ، وما يعرف بالغيرية الأخلاقية ، التي تتجاوز النظرة القائمة على فكرة الصراع بين الذات والآخر.

ورغم تنوع المصادر التي نهل منها ايمانويل ليفيناس فلسفته نراه يراهن على " تجاوز الفلسفة الذاتية ونرجسيتها والانتقال إلى الاعتناء بأخلاقيات التعامل بين الأفراد ، والاهتمام بالاختلاف ، هذا الاختراق الفلسفي عند ليفيناس هو تخط لمنطق التنافي والتخاصم ، وتفكيك قلاع الهويات المتكتمة على ذاتها، ومد جسور التواصل والتعافي بين الذات والآخر من أجل تحقيق مجموعة من المفاهيم ، وإنجاز جملة من المشاركات قصد بناء الهوية الإنسانية ، وتحقيق وصية الاستخلاف والائتمان والتعمير." (٩) ومن هنا نحاول أن نتناول الأصول الدينية التي نهل منها إيمانويل ليفيناس فلسفته الأخلاقية وذلك فيما يلي:

(١) <u>المرجعية الدينية اليهودية</u>:

مما لا شك فيه أن التراث اليهودي الذي نشأ ليفيناس بين أحضانة ، وقدم عنه قراءت وتأويلات كثيرة سيكون له موقفاً منه وهذا كونه لا يتحدث عن الأخلاق دون أن يبين طبيعة علاقتها بالدين ، لذلك نحاول أن نوضح مكانة الدين في أخلاق ليفيناس نظراً لتشابه بعض القيم بينهما كحب الغير، والانفتاح على الإنسانية، الأمر الذي يدفعنا إلي التساؤل عن مدى تعلق أخلاق ليفيناس بالتجربة الدينية.

إن التراث اليهودي الذي ترعرع فيه ليفيناس يعتبر بمثابة الأرضية المنهجية التي استقى منها ليفيناس مشروعة الفكري والفلسفي إذ قدم قراءات وتأويلات متعددة لما جاء في التوراة والتلمود، ويعتبر ليفيناس " أن كتاب التوراة يؤسس للتفكير الأخلاقي، فهو بمثابة كتاب الكتب، إذ يعتقد أن التوراة هي الكتاب الذي تقال فيه الأشياء الأولى ، والتي يتوجب قولها حتى تكون الحياة الإنسانية ذات معنى ودلالة." (١٠) وبذلك يعتبر التراث اليهودي مصدراً للإلهام والتعالي الديني، ويظهر ذلك جلياً من خلال إدراك الآخر، ومعنى هذا أن ليفيناس ربط فكرة التعالي الديني ، بفكرة الأخلاق التي تظهر في حب الآخر الذي يوصله إلى رضي وحب الإله. (١١)

ونظراً لأهمية المرجعية الدينية عند ليفيناس دعا في فلسفته إلى ضرورة ألاَّ ينظر إلى أي دين آخر بوصفة عدواً ، أو تهديداً للوجود، وهذا من شأنه أن يهدئ أي مخاوف ، أو قلق تجاه الآخرين. ومن هنا ينادى ليفيناس بضرورة اعتبار كل دين وجها آخر ؛ لأن أتباعه هم أشخاص ، ويقصد بأننا لابد من التعامل مع أهل الديانات الأخرى على أنهم أشخاص مثلنا ، لا فرق بين ديننا ودينهم ؛ لأن التعامل ليس على أساس الدين ولكن التعامل يتم على أساس الوجه. (١٢) فالنظر للدين بهذا الشكل من شأنه أن ينهى الميل للأصولية ، والبعد عن التعصب والعنف ، ومن خلال هذه الطريقة لفهم الدين يعزز موقفنا نحو الانفتاح والتعاطف نحو الآخرين ، مما يساعد على رؤية الاحتمالات والبدائل ليس فقط في دين الآخرين ولكن – أيضاً – في رؤية الأمور كافة.

ولذلك يؤكد ليفيناس علي ضرورة الحوار والانفتاح على الديانات الأخرى ، بحيث يفهم المرء عمق العالم الثقافي الذي يوجد فيه الآخر، ومن خلال ذلك سيتعلم احترام الآخر ، بل ويساعد على تعزيز حرية الآخر وكرامته دون الدخول معه في حرب. (١٣) فيقول: " الآخر هو الجار " (١٤) ولذلك تتخذ الفلسفة على يد ليفيناس بعداً آخراً من خلال فلسفة الحوار. (١٥) فيقول: إنني عندما أتحدث مع شخص ما في حوار، فبذلك يكون الحديث بين الذات"المضيفة"، والآخر" الضيف. (١٦) وإن لم يحدث ذلك سيؤدي كما يقول إلى " الاختزال والهيمنة على الآخر " (١٧) مؤكداً علي أن اللقاء الأخلاقي يأتي أولاً قبل الحديث المعرفي مع الآخر." (١٨)

إن الدين اليهودي كان له أثره على فكره ، ولا غرابة في ذلك اعتباراً من أنه نشأ وترعرع وسط أسرة أرثوذكسية " فقد أصبح مفكراً يهودياً بجدارة من خلال كتاباته لمقالات عديدة ومتنوعة في المجال الديني خصوصاً. " (١٩) " إن نشأة ليفيناس في

وسط بيئة يهودية يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ؛ لأن " جمهورية لتوانيا كانت مركز للدراسات التلمودية التي تركت أثرها على معظم أعماله." (٢٠)

لقد تعلم ليفيناس من التلمود العديد من الوصايا والإرشادات ومنها: " لا تزن، لا تقتل، و لا تشتهى امرأة غيرك. " (٢١) وأخذ هذه النصوص الدينية وصاغها في تأسيس علاقة أخلاقية جاعلاً منها وجهة مناظرة بين الأنا والآخر " فالمقدس أو المتعالي لدى ليفيناس يعيد الأخلاق النظرية بالعودة إلى الدين والتقاليد الدينية. " (٢٢) ورغم ذلك كانت الأخلاق قبل الدين عنده حتى أطلاق صيحته أن " الأخلاق تسبق العقيدة " (٢٣)

(٢) <u>المرجعية الفكرية:</u>

تعددت المنابع الفكرية عند ليفيناس بداية من الفلسفة اليونانية ، فنجدة أشدة إعجاباً بفلسفة سقراط ومقولته الشهيرة (اعرف نفسك بنفسك) والتي يتبين من خلالها ضرورة معرفة الذات انطلاقاً من نفسها دون الرجوع إلى الغير، وبذلك حولت فلسفة سقراط مجال الاهتمام من البحث عن الطبيعية ، إلى البحث في الذات الإنسانية.

كما تأثر – أيضاً – بالفلسفة الأفلاطونية ومحاورات أفلاطون خاصة محاورة فايدوس والتي يوظفها بشكل كبير في كتابه الكلية واللانهائية فيقول: " في هذه المحاورة نجد أفلاطون يتحدث عن الروح التي تتلذذ بالحقائق التي تخص مملكة الروح الإلهية"(٢٤) بالإضافة إلى تأثره الشديد بفلسفة أرسطو حيث أكد على أن الإنسان اجتماعي بطبعه ، والتي نفهم من خلالها أن الأنا بحاجة دائماً إلى الآخر.

أما تأثر ليفيناس الحقيقي فيتجلى بصورة واضحة عند كل من ادموند هوسرل، ومارتن هيدجر فقد استقي من الفينومينولوجيا الهوسرلية والهيدجرية الكثير ، وجعلها مرتكزات منهجية من خلال إقراره بضرورة جعل الفينومينولوجيا أداة للم ألانا بالآخر.(٢٥)

لقد تجسد اهتمام ليفيناس بالفينومينولوجيا عند هوسرل ، جاء ذلك من خلال كتابة: نظرية الحد من الفينومينولوجيا الهوسرلية. (٢٦) فكان أول عمل بالفرنسية حاول من خلاله ليفيناس أن يقدم توضيح لمصلحة الظواهر مؤكداً بذلك على نظرية الحدس، أي أن فكر ليفيناس يرجع لجذور عريقة أصيلة إلى أرضية فينومينولوجيا " (٢٧) وكان هدف هوسرل " اعتبار الفينومينولوجيا منهج ابستيمى وصفي تبلور مقولاتنا المنطقية كي تأخذ معناً جوهرياً من ناحية ، ومن خلال الفينومينولوجيا يتبين لنا أن الوعي مرتبط بموضوع التجربة " (٢٨) " لكن سرعان ما نجد ليفيناس ينتقد أستاذه هوسرل برفضه للفينومينولوجيا الهوسرلية لوضعها كل شيء في علاقة نسبية مع الأنا المتعالية. " (٢٩)

" وبين ليفيناس أن العيب الظاهر للفينومينولوجيا متمثل في جعل الذاتية هي المرجع الذي يستخرج منه المعنى، فليس ثمة من أفق يتدفق منه المعنى غير الذاتية المتعالية. " (٣٠) ومن هنا فإذا كان " الآخر حسب هوسرل خاضع للإدراك مثل باقي الظواهر التي تدرك إرادياً وقصدياً، فإن الآخر عند ليفيناس لا يمكن أن يكون تابع لعملية الرد والاختزال الماهوى، وباعتبار أن هذا الأنا يختلف تماماً عن الآخر الليفيناسي وغيريته هي التي تجعل التماسك بين الذات والآخر وتجمع بينهما " (٣١) فهوسرل يؤكد على أن كل الأحكام مردها إلى فكرة الرد الفينومينولوجيا بعد تعليق الأحكام السابقة، والتى يتم على مستوى رد كل الظواهر الخارجية عن الذات الإنسانية بما في ذلك المواقف العلمية والطبيعية إلى الأنا المتعالي والمجرد، مع تنفيذ وتقويض كل التبريرات السابقة في عملية الرد ، في حين أن ليفيناس حاول تجاوز هذا الطرح الهوسرلى من خلال صبغ الطرح الفينومينولوجي بصبغة ايتيقية غايته القصوى خدمة النوع الإنساني.

ما أريد أن أشير إليه أنه رغم إعجاب ليفيناس بفينومينولوجيا هوسرل، إلا أنه لا يأخذ بجميع أسسها، إذ توصل إلى أن العلاقة الاتيقية لا تقبل الاختزال والتعالي الموجود فيها لا يتعلق بالأنا وعلاقتنا بالآخر ليست قصديه الذات نحو الموضوع ؛ لأن شرطها الأول الانفصال ، وهى علاقة تذاوبيه إنسانية لكنه لا يلغى أهميته الفينومينولوجيا في الكشف عن أهمية الوجه. وأن الآخر عندما يواجهني " أي يكون وجهه لوجهي " فإنه يلزمني إلزاماً أخلاقياً تجاهه. (٣٢) وأمام الوجه أطالب نفسي دائما بالمزيد. (٣٣)

تأثر ليفيناس – أيضاً – بفلسفة هيدجر في بداية مشواره الفكري ، ولكن سرعان ما ظهر في فلسفته النقد ومهاجمة فلسفته فلقد درس انطولوجية هيدجر ، ونلمس هذا من خلال نشره لمقال تحت عنوان: مارتن هيدجر في الفكر الفرنسي وإلى الآن. لذا يعتبر ليفيناس " أن فلسفة هيدجر في أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات كانت صدمة بالنسبة له ، وهذا لتفسيرها وتحويلها لكيان الفلسفة الغربية بصفة عامة. " (٣٤)

وقد اشتغل ليفيناس بفلسفة هيدجر وتأثر بها تأثراً شديداً لذا ففي عام ١٩٤٧ اصدر ليفيناس كتابين بعنوان: من الوجود إلى الموجود ، وكتاب: الزمن والآخر وفي هذين المؤلَفين حدثت القطيعة مع فكر هيدجر ، إذ يلومه على تصوره حول البعد الأنطولوجي لعلاقة الأنا بالآخر. (٣٥) فإذا كان هيدجر ينطلق من أن الآخر ضروري لفهم الأنا وتحقيقها لآنيتها فليفيناس يفند ذلك إذ يرى أن رؤية هيدجر تنفى قدسية الغير، وتجعلها كأداة لفهم الأنا. (٣٦) يقول ليفيناس: " إنني أقر عكس هيدجر بأن الفلسفة

يمكنها أن تكون أخلاقية مثلما يمكنها أن تكون أنطولوجية يمكنها في عملية الاستلهام أن تكون يونانية وغير يونانية في الوقت نفسه وهذان المصدران للإلهام يتعايشان من داخل الفلسفة الحديثة لهذا فإن هدفي الخاص يتمثل في التعرف على هذين المصدرين للمعنى."(٣٧)

كما رفض ليفيناس اهتمام هيدجر بجانب الوجود علي حساب الموجود، لذلك قدم فلسفة جديدة تقوم على الايتيقا. يقول ليفيناس: " العلاقة مع الغير المطروحة من طرف هيدجر بالتأكيد هي أشبه ببنيه أنطولوجية لا تلعب أي دور في درامـا الوجود ولا في التحليل الأنطولوجى وكل تحاليل الوجود والزمان تلاحق من أجل شخصية الحياة اليومية، إن هذا الأخير هو ما لا يتحمله ليفيناس وهو وجود في شكله العام. " (٣٨)

إن الحرية التي أقر بها هيدجر ، وجعلها إحدى صفات الأنا مرفوضة عند ليفيناس فالإنسان المعاصر أناني بطبعة وشرير ، ومتى سنحت له الفرصة سيقتل ويبطش أخيه الإنسان ، وهذا ما يجعلنا نتذكر فلاسفة العقد الاجتماعي وأهمهم توماس هوبز عندما أكد علي أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، ولأن حرية الأنا مطلقة فهي متاحة له حسب ليفيناس، واللقاء مع الآخر يقضى على أنانية الإنسان، فلقاءه يكشف لنا عن وجهه، وهذا الكشف ينقص في رغبتنا في استعباده ، أو البطش به، وبالتالي ترتفع درجة الوعي بالأخر ؛ لأن " الوجه في عُريه كوجه يقدم لي فاقة الفقير والغريب وتعاليه ولأن المتناهي تقترب فكرته من خلال معنى الوجه. " (٣٩)

وإذا كانت الفلسفة عند هيدجر تبدأ من علم الوجود أو الأنطولوجيا فإنها عند ليفيناس تبدأ بعلم الأخلاق وهو ليس مبحثاً منها أو فرعاً بل هو الفلسفة الأولى. (٤٠) فهذا الواقع المتأزم أخلاقياً الذي يعيشه الإنسان المعاصر، لا يمَكِّن للموجود الانشغال بالوجود ، ونسيان الموجود الآخر، فإذا كان تاريخ الميتافيزيقا الغربية نسيان للوجود عند هيدجر، فهو تاريخ نسيان للموجود حسب ليفيناس ، وهذا الموجود الذي يتمركز حول ذاته مع ديكارت يرفضه وبشدة ، بل حتى الفلسفات التي اهتمت بالآخر قد قاربت الآخر من جانب الأنا، وحاولت فهم الآخر انطلاقاً من الكينونة ، وجعلت الذات تعي ذاتها انطلاقاً من الآخر، ولذلك فالآخر غير ضروري ضرورة الأنا، وهو مجرد وسيلة لتحقيق الآنية. (٤١)

يقول ليفيناس " إن الأخلاق وحدها القادرة على تبيان الدلالة الأولى التي أعطت للكينونة الإنسانية معناها، هي وحدها القادرة على فهم الحدث الأول الذي أسس لسؤال معنى الكينونة الذي طرحه هيدجر في كتابه: الكينونة والزمان وهي بذلك تتقدم على

الانطولوجيا ؛ لأنها تشير إلى فضاء أكثر أصالة من هذه الأخيرة، الحدث الأول الذي منه يأتي سؤال الحقيقة وصاغ معنى الكينونة وانبثق إمكان السؤال هو اللقاء وجها لوجه مع الآخر الإنساني. (٤٢)

نستخلص من ذلك مدى تأثر ليفيناس ببعض القيم الأساسية التي تحدث عنها هيدجر متمثلة في الموت والقلق وإن كان تناولها بطريقة مختلفة وتكمن أهمية هيدجر في تمثيله لهذه العلاقات التي يبنيها الدازين باعتبارها زمانية متغيرة، تتم في المستقبل ما ألهم ليفيناس إلي أن ينظر للعلاقات التفاعلية الإنسانية ؛ لأن العلاقة مع الزمان هي علاقة مع المستقبل والمستقبل هو الآخر، الذي دائماً نكون معنيين بموته.

وعلى الرغم من إحداث ليفيناس لقطعية مع هيدجر، إلا أن ليفيناس يبقى مديناً له بفكرة النسيان، التي تتخذ شكلاً مشابها في فكره ، وينتهي هيدجر فى تحليله للعلاقة بين الكينونة والزمان إلاَّ أن تاريخ الفلسفة هو تاريخ نسيان الكينونة ، أو إن صح القول وجود الكائن محل الكينونة ، فليفيناس لا يتفق مع هذه الفكرة فتاريخ الفلسفة حسب ليفيناس في التقليد الغربي هو تاريخ إقبار الإيتيقا. (٤٣)

ثانياً: البعد الأخلاقي في علاقة الأنا بالآخر وتعمد غياب الصورة الإسلامية في فلسفة إيمانويل ليفيناس.

في صميم عصر يتسم بانتصار التقنية على الإنسان ، وفى سياق تاريخي يتميز بالتفكير في الإنسان خارج الميتافيزيقا، وتحت راية الدراسة الموضوعية العلمية للإنسان ، وما يستتبعه من إمعان العلوم الإنسانية الهستيري في التنكيل والتمثيل بإنسانية الإنسان ، وتحويلها إلى مجرد جثة باردة مهدورة الكرامة ، قابلة للانعطاف المعرفي الموضوعي، انبثقت فلسفة ليفيناس الأخلاقية احتجاجاً على ما وصل إليه العصر من عبث بإنسانية الإنسان ، ومنذرة بالمصير المجهول الذي ينتظره ، إذا ما استمر العلم ومعه فلسفات الذات في تسديد طعنات الإهانة له. (٤٤)

ورغم عصر الثورة الصناعية وما تبعة من تحولات شكلت وجه جديد للحضارة ، وبدلاً من أن تكون التكنولوجيا قوة تحرر الإنسان المعاصر، أضحت عقبة حولت الإنسان المعاصر إلى مجرد أداة ، وهذا ما أدى ببعض الفلاسفة إلى محاولة إعادة الاعتبار للأنا لكن هذه المرة الأمر مختلف، فالفلسفة الجديدة لا تهتم بالذات أو الأنا بل تتجاوز الذات إلى الآخر أو الغير. والسؤال الذي يطرح نفسه وبقوة هنا ، ما البعد

الأخلاقي في علاقة الأنا بالآخر ؟ ولماذا غابت صورة الأخلاق الإسلامية في فلسفة ايفيناس ؟ هذا ما نحاول أن نجيب عنه فيما يلي.

لقد مارست الفلسفة الغربية تجاه الذات والآخر والعالم اضطهاداً كبير للذات ، محولة الذات المفكرة المتأملة في العالم إلى مجرد ذات مستلبة مهيمنة على العالم وتنظر إلى الآخر نظرة قمع واضطهاد ، واختزلته العبارة الشهيرة الجحيم هم الآخرون ، للفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر " ومع الفلسفة الفينومينولوجية التي قدمت نفسها على أنها فلسفة مهمتها إصلاح الإنسانية ، وذلك بتذكيرها بهويتها وبالعودة إلى البيزائية والذاتية اللتين وقع تغييبها بفعل الموضوعية. (٤٥) وعملية ترويض الطبيعة (٤٦) لم تنجح في كسب الرهان أمام هذه الظروف ، مما دفع ليفيناس ليكون ناقداً على الفلسفة الغربية ، منددا بالسياسة التوسعية للعقل والحرية التي ترفض غيرية الآخر المطلقة ، وتقوم بتشكيلة حسب تمثلاتها الذاتية ليسهل السيطرة عليها ، وفى هذا الإطار يرفض ليفيناس التفكير في الآخر من خلال الذات ؛ لأن الآخر ليس سلب الذات عينها بل هي غيرية غير قابلة للاختزال لذلك يقول ليفيناس: " نحن محاطون بالموجودات وبالأشياء حيث نتعهد معها بعلاقات عن طريق النظر واللمس والتعاطف وبالعمل المشترك ، فنحن مع الآخرين وكل هذه العلاقات انتقالية. " (٤٧) لذا " حاول ليفيناس أن يحرر الذات من وهم الأنانية التي تسجن الإنسانية في دائرة الخوف من الآخر ، منعطفاً بتاريخ الفلسفة من الأنطولوجيا إلى الايتيقا فوقف في وجه كل فلسفة تنظر إلى الآخر بأنانية ، أو تخضعه لمقولات الكلية. " (٤٨)

كما " تتجلى النزعة الإنسانية بدعوة ليفيناس إلى ضرورة معاملة الآخر بوصفة ذاتاً لا موضوعاً ، وهى المعاملة التي أطلق عليها اسم البنداتية (٤٩) فحينما تلتقي الأنا بالآخر تبدأ العلاقة الأصلية للحدث الأخلاقي. (٥٠) مؤكداً في أكثر من موقف أنه في تعاملنا مع الآخرين إنما نتعامل مع الأرواح لا مع الأشياء. (٥١) لذا وحتى تصبح علاقتنا بالآخر علاقة أخلاقية إنسانية وجب الاقتراب من الآخر والاعتراف بغيرته واحترامها والتحاور معه، والشعور بالمسئولية ومشاركته بدلاً من إقصائه.

" إن الأنا عند ليفيناس لا تحيا منعزلة ، بل تحيا في جماعة تتجاوز فيها الأنا الوجود الأنطولوجي ، لا تعزل كل فرد من الآخر إلى وجود ايتيقى تظهر فيه الأنا مسئولة أخلاقياً عن الآخر ، وتبدو إنسانية الإنسان بقدر ما يبدى اهتماماً بالآخر وخوفاً عليه. ولذلك يكون الإنسان في هذا الوجود هو الذي يعد نفسه مسئولاً عن الإنسان الآخر هو من يتجاوز الأنا لأجل الآخر." (٥٢)

" فليس هناك أنا من دون آخر وليس هناك آخر من دون أنا، فالإنسان بطبيعته كائن اجتماعي لا يمكنه أن يحيا من دون الآخر، وللآخر حضور دائم عند الأنا في جميع مراحل الحياة. (٥٣) " ولعل الترابط بين الغيرية والتواصلية يتأسس على الفهم كعلاقة حميمة تمثل عمقاً أخلاقياً وأنطولوجيا يساهم في دفع الكائن نحو تأكيد رغبته في التواجد مع الآخر (٥٤) إن الهوية الجديدة للذات لدى ليفيناس المحتفية بالغير، جاءت كرد أخلاقي فلسفي حاسم لتعلى من شأن الغير في الفكر الغربي المعاصر منطلقاً من الأخلاق وهى المبدأ الأول في فلسفة ليفيناس. (٥٥)

فالفرد عند ليفيناس: يحيا من أجل الآخر، وحين يواجه الآخر فإنه يلزمني إلزاماً أخلاقياً تجاهه. (٥٦) " فالأنا يشعر بمسئولية تجاه الآخر والذي أجد نفسي ملزماً أخلاقياً بالدفاع عنه وعن حياته ، واستحالة ترك هذا الإنسان وحيداً أمام لغز الموت ، فالأنا مرتهنة بالآخر ورهينة لندائه ولا يمكن لأحد أن يجيب عوضاً عنها ، فالفرادة هى لا نهائية المسئولية لأجل الإنسان الآخر التي تفرض التضحية بالذات من أجل الآخر (٥٧) " إن ما يفرضه الآخر الكبير – مثل ما يفرضه القانون الأخلاقي عند كانط أو الأنا العليا عند فرويد – فرضاً لا محدود ومفرطاً وغير ملفوظ ولا يمكن الوفاء به، ويتجاوز كل إدراك... إذ يجب أن أعتبر نفسي مسئولاً عن كل آخر كبير، بل ومسئولاً عن مسئوليتهم" (٥٨) " إنني مسئولاً عن الآخر دون أن انتظر مقابلاً إن علّى أن أتحمل كل شيء. " (٥٩)

ومن ثم جاءت فلسفة ليفيناس لتعيد للآخر تقديره واحترامه فكان بمثابة رد فعل مباشر لتلك الرؤية التي سادت معظم تاريخ الفلسفة الغربية، فتمركزت حول الذات ورأت في الآخر ما يهدد وجودها ، وأصبح الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان، والآخرون هم الجحيم بعينه ، ويتجلى ذلك من خلال مقولة " الوجه الذي يمثل مرآة عاكسة لحقيقة الأنا وكينونتها إذ ينبغي على الآخر أن يحترمها ويعترف بمنزلتها من خلال تبادل المسئولية سعيا للمحافظة على الحياة. (٦٠) ولذلك يصف ليفيناس العلاقة بالآخر بأنها لحظات ولادة للأنا من جديد من خلال الآخر، فتموت الأنا الأولى وتولد أنا جديدة، ولذلك فالغيرية عند ليفيناس مؤسسة على الاختلاف فيقول: " الآخر هو آخر وليس من خلالي تماماً كما الأنا المتفردة ، وليس من خلال الآخر، فلابد من التسليم بالآخر بأي حال من الأحوال كآخر، ومشاركته في وجود مشترك. (٦١)

إن فكرة ليفيناس يمكن أن تتلخص كذلك في أن " الأنا لا يكون إنسانياً إلا إذا هجر ذاته " فنكران الذات هو ولاء للآخرين ؛ فإذا كان هيدجر قد كتب يقول " الكائن هو

الضامن للكائن " فإن ليفيناس قد ذهب بعيداً في قولة: " يجب أن تكون أكبر من الذات نفسها، وتتجاوز الذات وذلك بالتضحية من أجل الآخرين." (٦٢) وبناء عليه لا يصبح الإنسان حارساً لذاته فقط، وإنما حارس للآخر الذي يتجلى أثر اللامتناهي في وجهه، فيصبح وجه الآخر أيقونة الإله ، أو ما نعني به التجلي المقدس لوجه الآخر. (٦٣)

تناول ليفيناس الوجه الذي يُعد حقيقة الآخر حتى عُدَ واحداً من أهم مصطلحاته ، فلكل فيلسوف مصطلحه الذي يميز فلسفته كأن نقول: الجدل عند هيجل، والواجب عند كانط ، والحدس عند برجسون، كذلك يكون " الوجه " عند ليفيناس. أو كما يصفه الفونسو لينجز والذي يعد من المهتمين بفلسفة ليفيناس " أن مفهوم الوجه " هو بمثابة اللحظة المركزية فى فينومينولوجيا ليفيناس " (٦٤)

يرى ليفيناس أن هناك نزوعاً قوياً بداخلنا لرؤية وجه الآخر ، والإحاطة بفاعليته، وتزامنه وحساسيته فالوجه يتكلم (٦٥) لكن ليفيناس لا يقصد بالوجه تلك المظاهر الموجودة فيه مثل: العينين، الأنف ، الجبين ، الذقن. إنك عندما تنظر إلى الوجه يجب أن تدركه ككيان حي كلى، ولا تلتفت إليه وكأنك تنظر إلى شيء ما أو ملامح منفصلة ؛ لأن مثل هذا النظر لن يجعلك قادراً على أن تقيم علاقة اجتماعية مع هذا الوجه، بل سيسيء العلاقة فيجعلها كعلاقة شيء بشيء آخر. (٦٦)

ومن ثم يمكننا فهم قوله:" فليس الوجه شيئاً يمكنني أن أدركه، بل هو تجلى وحالة من التكشف " (٦٧) أو قولة: " إن الوجه ليس مرئياً، إنه ما لا يمكن احتواؤه ويقودكم إلي ألماً وراء (٦٨) وهنا يفسح المجال لفهم أعمق للوجه يتمثل في تلك المعاني التي يمكن أن يوحى بها الوجه ؛ لأنه – في نظره – الجزء الأكثر انكشافاً والأكثر عرياً أمامنا ، فإننا أمام الوجه يمكننا أن نقرأ فيه كل المعاني التي لا يمكن أن تستطيع لغة ما التعبير عنها بنفس الفصاحة ، فالوجه إذن " خطاب يتكلم بوجه " وهو مصدر كل المعاني الظاهرة (٦٩) إنه (أي الوجه) هو الذي يبدأ كل خطاب، وكل إمكانية للخطاب الذي يعبر بشكل دقيق عن تلك المسئولية التي ستقوم عليها تلك العلاقة الأساسية بين الوجه كآخر ، وبين الأنا. (٧٠) " فالوجه يدعوني، مع عوزه وفقره ومع ذلك لا يمكنني أن أصم أذني أمام هذا النداء ، فالوجه يفتح الخطاب الأولى الذي هو التزام أخلاقي." (٧١)

ففي تجلى الوجه عند ليفيناس تظهر عموميته واستقامته ونزاهته، فالوجه لا يوجد أمامي بل يوجد فوقى، وعندما ينظر الوجه بشكل جانبي، فإنه يرى الآخر أمام الموت، الذي يعرض نفسه من خلال تلك النظرة بينما يطالبني الوجه من جهة أخرى بألا أتركه فريسة للموت بمفردة، وأن تركي له يجعلني شريكاً في موته ومن ثم يناديني الوجه

قائلاً: " لن تقوم بالقتل أبداً " ومن ثم تنبثق علاقتي الأخلاقية بحب الآخر (٧٢) أما عن قداسة الوجه أو تجلية المقدس، فيبقى حديث ليفيناس مطولاً حتى خارج (الشمول واللامتناهي) فذلك التجلي المقدس الذي يظهر من خلال المواجهة أنه تجميع مغاير تماماً للتركيب، فهو يقيم قرباً مخالفاً للقرب الذي ينتظم بفعل تركيب المعطيات ، ويربط فيما بينهما ضمن عالم من الأجزاء داخل الكل. (٧٣)

وهذا يشير إلى أن تصور ليفيناس للوجه تصوراً مركباً فاكتشاف وجه الإنسان الآخر في فقره وتعاليه، يجعلني أعي، وفى آن واحد إمكانية القتل وعدمها ، فالعلاقة بالوجه هي علاقة على الفور أخلاقية ، فالوجه ما لا نستطيع قتلة أو هو على الأقل يحمل عبارة " لا تقتل أبداً " فالوجه يحمل في تعالى كيانه ولا تناهيه ما يقاوم فعل القتل فنظرة الآخر بمقاومتها القتل تشل قدرتي وتجرد إرادتي من سلاحها، حيث يصبح فعل الأمر " لا تقتل " ليس قاعدة بسيطة للسلوك، بل مبدأ الخطاب نفسه، ومبدأ الحياة الروحية وهو الأمر الذي يفرض نفسه عندما التقى بالآخر وجهاً لوجه فعندما تلتقي بوجه الآخر، فإنك تتعرف عليه أو تعرفه ذاتك وعندها تتعاطي الوجوه الكلام " فالوجه يتكلم " وهذا التعاطي الذي يتطلبه الكلام هو بالتحديد العمل بلا عنف. (٧٤) فالوجه يكشف عن المشاعر الداخلية للكائن البشرى، وهو من يتيح إمكانية التحاور ويبدأ الحوار فثمة علاقة وثيقة بين الوجه والحوار. (٧٥) فالوجه هو الذي يحرم عليَّ قتل الآخر، وأن الآخر عندما يواجهني أي يكون وجهه لوجهي، فإنه يلزمني إلزاماً تجاهه. (٧٦) وأمام الوجه أطالب نفسي دائماً بالمزيد. (٧٧)

فالآخر يعبر من خلال وجهه عن سماحته ، وينحدر من خلاله قدر من السمو والألوهية. (٧٨) " لا تقتلني: هذه هي الجملة التي من خلالها يعبر لنا الوجه عن رفض لكل عملية قتل تجاه الآخر. وهذه الجملة يعتبرها ليفيناس أول خطاب يمكن أن يدور بين أثنين، ويذهب إلى أبعد من هذا ويعتبرها أمراً موجهاً من الوجه، فإن للوجه هيبة وجلالاً ورهبة كتلك الرهبة التي يشعر بها العامل أمام رب عمله في الوقت الذي يرفض فيها كل محاولات التملك والاحتواء رغم عريه وفقره وبؤسه. (٧٩) إنه يعبر عن حالة إنسانية وانطولوجية ما.

كما أن فكرة التجلي المقدس لوجه الآخر قد عكست السؤال الأساسي لفلسفة الأخلاق عند ليفيناس، وهو: كيف نكون مسئولين عن الآخر مسئولية كاملة ؟ وهذا يعنى اختزال واضح لفلسفة الأخلاق بمعناها الأوسع والأرحب. كما أن فكرة التضحية من أجل الآخر بلا انتظار أية نتائج مرجوة من وراء تلك التضحية، فضلاً عن أن هذا الآخر غير

مطالب بصورة واضحة بواجبات أخلاقية تجاه الأنا، الأمر الذي يجعل من فكرة التضحية هذه فكرة طوباوية من الصعب جداً أن تجد لها صدى واقعياً ، الأمر الذي يجعلها – أيضاً – مجرد فكرة نظرية خالصة مملوءة بالخواء الأنطولوجي.

لقد كانت فلسفة ليفيناس هي فلسفة القلق بالأخر " والتضحية من أجله " (٨٠) إنها فلسفة احترام الذات ومعرفة الآخر مغلفة بدلالات أخلاقية في المقام الأول " وأن الإنسان في أعمق أعماقه يشعر برغبة في الانفتاح على وجود الآخر ومن ثم الغيرية هي المسئولة عن الآخر، وأن الإنسان ملتزم أخلاقياً بالدفاع عن حقوق الآخر الأمر الذي يمكن القول معه بأن فلسفة ليفيناس هى فلسفة القلق بالأخر. (٨١)

يقول ليفيناس " إن قلب العلاقة مع الآخر هي التي تميز حياتنا الاجتماعية، ولكن يبدو أنها علاقة غير متبادلة وهذا قمة التناقض، ولا يرجع ذلك إلى عوامل فيزيولوجية أو نفسية بل بسبب غيرية الآخر المختلفة عن الأنا "

فيؤكد على " أن دلالات العلاقة التواصلية مع الآخرين يمكن أن تتجاوز حدود الحوار اللغوي لتتأسس على ماهية الحب الذي يكون خال من كل أنانية الشهوات بالنسبة للأنا نفسه ، بما أن الحب هنا يمكن أن يتجاوز الأفق الدلالي للغة، ولا يمكن للغة أن ترتقي به إلى مرحلة التفسير والفهم، إلا من خلال تأويلية المعنى، أي أن الحب يمكن أن يذهب في دلالته إلى ما بعد المحبوب، بما هو الآخر أو الآخرية، تأكيداً لأهمية الروابط الروحية على مستوى المسئولية ، وفى أفق الوجه بما هو الموجود الذي يؤسس لدلالات في الأفق الايتيقي. (٨٢)

إن فكر ليفيناس يمثل – من بين ما يمثله – عودة إلى مذهب أخلاقي قائم على الإحساس والشعور، يخرج من عباءة ايمانويل كانط ليعيد القيم الأخلاقية مرة أخرى إلى سياق الجسد الخاضع للاحتياج والبؤس والعاطفة. " (٨٣) واستطاع ليفيناس " أن يعيد الاعتبار للكثير من القضايا الفلسفية التي أهملت حيث نقلها من الهامش إلى مركز الاهتمام وأعطى للسؤال الفلسفي الذي يشكل المرتكز الأساسي في ممارسة التفلسف الأولية ولعل أكثر التساؤلات الفلسفية التي وقف عندها ليفيناس كانت الأنا والآخر أو الذاتية والغيرية حتى أصبح يعرف بفيلسوف الأنا والغيرية. (٨٤) لذا تعتبر فلسفة ليفيناس تحولاً كبيراً في مسار الفلسفة الغربية المعاصرة، فعن طريق الايتيقا التي انتصر لها ليفيناس رفض كل الفلسفات التي تدعو إلى التمركز حول الذات الأمر الذي يمكن قراءته بسهولة منذ الصفحات الأولى من كتاب الزمان والآخر. (٨٥)

وانطلاقا من ذلك لم تكن " الأخلاق عند ليفيناس مبحثاً أساسياً من مباحث الفلسفة فحسب ، وإنما هي الفلسفة الأولى على خلاف ما يفترضه تاريخ الفلسفة من النظر إلى الأبستمولوجيا أو الميتافيزيقا على أنها الفلسفة الأولى. فكل المواقف في الفلسفة لدى ليفيناس تعتمد مقدماً على الأخلاق. لذلك وصفها ليفيناس بأنها الفلسفة الأولى التي قدمها على الأنطولوجيا المعاصرة التي تختزل الآخر وتضعنه ضمن مقولات الوجود، وذلك ليجعل من الايتيقا المسئولية الشاملة تجاه الغيرة. " (٨٦)

ولم يكن ليفيناس الوحيد الذي ناقش حقيقة العلاقة بين الأنا والآخر بل " عدت العلاقة بين الأنا والآخر من أهم القضايا التي شغلت بال عدد كبير من الفلاسفة من أجل إعادة التأسيس لها على أسس أيتيقيه وقيم إنسانية. " (٨٧) ولأن " الفيلسوف ليس وليد يومه كما أن فلسفته ليست وليدة صيحة عبثية في واد الوجود الضائع، فمثلما أن الفلاسفة لا يطلعون طلوع الفطرة، فإن فلسفتهم لا تنشأ بعيداً عن ضجيج العالم وجلبته ولا في غياب استفزازات الواقع الذي ينغرسون فى عتمته ومجمل مشاكله. وهذا ما ينطبق على ليفيناس الذي وجد نفسه في ظل عصر – كما ذكرت سابقاً – تميز بهيمنة التيارات الشمولية الفاشية والنازية وحتى يضمن التحدي ضد عصر الخراب هذا عاد ليفيناس إلى التراث الفلسفي الغربي ذاته ، والتراث اليهودي ينهل منه فلسفته الايتيقيه التي تولى عناية فائق للآخر وللمسئولية تجاهه. " (٨٨)

" هنا تبرز فلسفة ليفيناس الأخلاقية بجرأة وشجاعة، كرد أخلاقي فلسفي حاسم، منزلاً الغير منزلة مهمة في الفكر الغربي المعاصر، معنى هذا أن ايتيقا ليفيناس سبيل مغاير لا يمجد الأحادية بقدر ما يقف ضدها أنه تماد على المركزيات بإنارته لعلاقتنا مع الآخر، باستحقاق للدرس والفحص بأصالته إلى جانب الذات. " (٨٩) " وسيعيد الاعتبار لجملة المفاهيم أو القيم الأخلاقية المهشمة والتي في حقيقة الأمر هي تعبر عن الجانب الإنساني في الإنسان والذي لا ينبغي تغييبه من هذه المفاهيم التي أحياها ليفيناس منها: الصداقة، المحبة، العطاء، الغفران، الطيبة " (٩٠)

ومن هنا سنحاول أن نقدم فلسفة ليفيناس بعناوينها الكبرى ، بأسئلتها الجديدة المبتكرة ، بأجوبتها اللافتة والمجددة، بطريقتها في إعادة طرح الأسئلة الكبرى في الفلسفة ، وبإعادة الموضوعات التي أهملها تاريخ الفلسفة إلى مركز الاهتمام ، إلى قيم أخلاقية نحن الآن في أمس الحاجة إليها ، خاصة ونحن نعيش على إيقاع الانهيار الأخلاقي بأمثلته الكثيرة الظاهرة لكل إنسان يستشعر أننا أمام تشقق وانهيار لجدار الأخلاق والقيم.

تعد صورة الإسلام عند ليفيناس عينة نموذجية ممثلة إلى حد كبير لصورته عند الغرب بعامة التي يغلب عليها طابع الانحياز وعدم الدقة والافتقار في أغلب الأحيان للموضوعية العلمية. فحالة ليفيناس وإن كانت قد تجاوزت حالات السابقين عليه زمنياً على مستوى الصياغة وبعض الملامح، نجد إنها تظل فى جوهرها غير مختلفة عنها، بل إنها تحدد بدرجة كبيرة كثيراً من ملامح الصورة المتشكلة بعد ذلك في الوعي الأوربي . وإن كان هذا لا يتعارض بطبيعة الحالة مع وجود حالات استثنائية لصور متمايزة ومختلفة. وربما يكون السبب في عدم دقة التصور الليفيناسي وزيفه فيما يتعلق بالأخلاق الإسلامية، يرجع إلى خلط ليفيناس بين الإسلام بوصفه نظرية وتصوراً للحياة وبين بعض الممارسات التاريخية غير المنضبطة لقسم من أتباعه. فضلاً عن قصور الاطلاع، والاكتفاء بمعرفة الإسلام من خلال الصور السائدة عنه فى الغرب، ولقد كان يجب على ليفيناس بوصفه فيلسوفاً كبيراً أن يعمل على تحرير التصور الغربي للإسلام، حتى يبرأ الأصل من شبهات الصور المزيفة له.

إن تجاهل ليفيناس للإسلام في فلسفته الأخلاقية وعرضه كشيء هامشي عرضي في فلسفة التاريخ، يعكس روح التعصب الأوربي تجاه الإسلام بوصفه معتقد الآخر. ويؤيد هذا أيضاً تلك الرؤى المحرفة للإسلام – على الرغم من أنها متجاورة مع بعض التحليلات العميقة والصائبة – التي أثارها ليفيناس في فلسفة التاريخ . فالإسلام مرتبط عنده بالمبدأ الشرقي السالب للذاتية، وهو ذو هدف سلبي ، كما أن الإسلام في منظوره قد انحل سريعًا مثلما صعد سريعاً.

وتجدر الإشارة هنا أن ليفيناس رفض المقاربة بين الأديان، لأنها تختزل ديانة الآخر داخل الذات وبالتالي سيؤدي الانفتاح على هذه الديانات من خلال المنظور الأخلاقي الإتيقي إلى احترام هوية الآخر الدينية ومساعدته على تعزيز حريته وكرامته، مما يؤثر إيجاباً في الحد من حركات العنف السائدة في المجتمعات المعاصرة، الناشئ عن الاختلافات الدينية. وعلى الرغم من التلميحات العنصرية التي تنبثق من أن الآخر في فلسفة ليفيناس كان يقصد بها الشعب اليهودي، ولا سيما في وصفه للجار، كرمز لهذا الشعب، ما يعني أن فلسفة ليفيناس اهتمت بحقوق الإنسان عندما أعطت السبق للآخر أمام الأنا، فحضور الآخر بقوة يجعل التعايش مع الآخر، يأخذ أشكالا غير مسبوقة فلسفياً ففكرة اللقاء مع الآخر، هي ضرب من اللقاء مع اللامتناهي الذي يوجد في نفسي، دون أن أمتلكه أو أن أعرفه، ولا يسعني إلا أن " أتشوق إليه. فثمة أمر أخلاقي يسبق وجودنا وهو حضور الآخر.

هذه العنصرية البغيضة عند ليفيناس ربما ترجع إلي تأثره بما حدث في حادثة المحرقة، التي جرت لليهود، نتيجة البعد عن الحوار فليفيناس يؤكد على عدم إقامة الحوار بين الأديان على بعد معرفي، لأنه سيؤدي إلى فشل الحوار بين الأديان، وذلك يؤدي كما يقول ليفيناس الى الإختزال والهيمنة على الآخر لذا نجده يدعو إلى ضرورة النظر إلى الأديان بنظرة خلقية ؛ لأن أتباعها كما قال شخص آخر.

إن الدين الإسلامي الغائب في فلسفة ليفيناس قام في الماضي– وسيقوم في الحاضر والمستقبل أيضا – على أساس قيمي مفاده : تقدير فعالية الإنسان والمجتمع والأمة، وعلى الاعتراف بالآخر والتواصل معه، دون النظر إلى جنسه أو عرقه أو لونه أو لغته أو حتى دينه، والتجربة التاريخية الإسلامية تثبت أن الحكم الإسلامي على امتداد حقب التاريخ حافظ على خصوصيات الشعوب التي حكمها، وأنها قدمت نموذجاً باهراً لحوار وتعايش الثقافات والأمم والحضارات، وبناء على ذلك، لابد من العمل على إيجاد أرضية مشتركة مع الحضارات الأخرى قاعدتها الحوار الإيجابي والتعايش والتلاقي البنّاء، ومنع كافة أشكال الصراع والهيمنة، ورفض تدنيس القيم الأخلاقية والدينية وانتهاك المحرمات والمقدسات، واحترام القيم الخاصة لكل ثقافة، مع القبول الفعلي للتنوع الثقافي ؛ لأن الأمر مرتبط بالنبع الأساسي لها وهو الإسلام الدين . وهذا ما يجعلنا نقف على أرض صلبة، ونرى أن المستقبل يحمل للحضارة الإسلامية العربية خيراً كثيراً، فمهما تكاثروا ضدها، فإنها تسير، وتبني نهضتها الجديدة، ليس على أساس النفعية، وإنما على أساس القيم.

إن ما غاب عن ليفيناس أنّ النص القرآني تأرجح في توظيفاته الاصطلاحية. لقد كانت الدعوة المحمدية، في البداية، مثالية حالمة، وآملة في رفع كلّ التحديدات التي تحدث شرخاً على مستوى الجماعة الدينية ؛ فالقرآن لم يكتف بنعت الآخر بصفة واحدة، واختزاله في صورة نمطية واحدة، هي « أهل الكتاب »، إمعاناً منه في ردم تلك الهوّة الفاصلة بينهما ، بل إنّه مَاهَى بين الأنا والآخر، فالقرآن لم يصوّر نفسه كدين لقيط ، بل إنّه امتداد للديانات السابقة ؛ إذ ثمّةَ وحدة الركن الأسمى للدين وهو التوحيد، ووحدة المصدر، كما وحدة المتلقي. من هنا نفهم دعوة النص القرآني، في بداية الدعوة الإسلامية، إلى « الكلمة السواء » إنّه ميل توحيدي جارف، ومصدر إلهي واحد، بالنسبة إلى الأديان السماوية. والنبي محمد صلي الله عليه وسلم، مثل الأنبياء السابقين، استجاب للأمر الإلهي، وجسّد هذا الأمر في سيرورة عقائدية واحدة.﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن

قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾(٩١)

غير أنّ سيرورة الأحداث، وتغيّر موازين القوى، قد أدّى إلى كسر هذا التمثل والإمعان في تمزيق تلك الجماعة الدينية المنسجمة، التي حاول النص الديني بناءها في عهوده الأولى. ومن التركيز على القواسم المشتركة، سيشنّ الإسلام هجوماً على اليهود، وسينعتهم بأسوأ المواصفات، فاليهود غير مستأمنين على شيء مهما صغر، وهم أهل غدر وخيانة، كما أنّهم جشعون على نحو غير عادي، وكذلك على الرغم من ميلهم لإحداث الفتن، وإشعال نيران الحروب والصراعات، إلا أنّهم جبناء غير متحلّين بالشجاعة، وهم كذلك، غير أتقياء، وقتلة للأنبياء وسفهاء، إنّها « أحكام، ونعوت، وصور، عديدة تشكّلت داخل النسيج القرآني بخصوص اليهود. وقد تمّت صياغتها في سياق تميّز بتوتّر بالغ الشدّة، فالأمر كان يتعلّق بصراع وجودي بين الدعوة الناشئة والنفوذ اليهودي في المدينة. (٩٢) أمّا الصور، التي قدّمها القرآن عن النصارى، فهي إلى المودّة أقرب، فهو، بالإضافة إلى حديثه الإيجابي عن النبي عيسى عليه السلام، وثنائه على الإنجيل، بصفته يشترك مع القرآن الكريم في النورانية والهداية ، يثني على الرهبان، ويرى أنّ الله جعل في من يتّبع المسيح رأفة ورحمة. هذه صورة الآخر في الفكر الإسلامي الواضح والتي لم يتطرق لها ليفيناس.

إننا ينبغي أن ننظر إلى إشكالية الأنا والآخر في الفكر الإسلامي، وفق منظور أن الأنا ليست خيراً مطلقاً ؛ لأنها تتضمن التجربة التاريخية، التي ارتكبت فيها المظالم، وابتعد البعض في السلوك والأخلاق عن متطلبات القيم المعيارية الكبرى. كما أن الآخر لا يشكل الشر المطلق، فهو يتضمن العلم والتطور التقني والتكنولوجي ، وثورة المعلومات والاتصالات ، والإبداع الإنساني فيما يرتبط بالإدارة والسياسة وما أشبه كما يتضمن الاستعمار والاستغلال وتدمير الآخرين والحروب والمؤامرات وما أشبه. لهذا فمن الخطأ النظر إلى الإشكالية من زاوية الخير والشر، أو من زاوية أن ما عندنا خير مما عندهم. وإنما ينبغي أن ننظر إلى المسألة من زاوية أن إصلاح راهننا وتطوير حاضرنا، لا يتم إلا بالأنا والآخر، حيث لا يمكن لنا أن نبني دولة عصرية، أو نخلق مجتمعاً حضارياً بعيداً عن مكتسبات العصر وإنجازاته.

الإسلام قدم الرسالة الإلهية ضمن رؤية فردية واجتماعية في آن، لغايات تتعلق بالفرد وبالمجتمع على حد سواء، فالاندماج الفردي في المجتمع الإسلامي له غاية على مستوى نفس الفرد كما له غاية على صعيد الجماعة وانتظام مسار تكاملها . القرآن

الكريم مليء بالإشارات الاجتماعية والتوجيهات الخاصة بالأمة والجماعة، وفي بعض الآيات توجيه للعابد نحو التحدث بلغة الجمع في صيغة الدعاء ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ (٩٣) فكلمة نعبد ونستعين بصيغة الجمع تشير إلى أن العبادة –خاصة الصلاة – تقوم على أساس الجمع والجماعة. وعلى العبد أن يستشعر وجوده ضمن الجمع والجماعة، حتى حين يقف متضرّعا بين يدي اللّه، فما بالك في المجالات الأخرى، وهذا الاتجاه في العبادة يعني رفض الإسلام لألوان الفردية والانعزال نفسها . الصلاة خاصة، ابتداء من أذانها وإقامتها حتى تسليمها، تدل على أن هذه العبادة هي في الأصل ذات جانب اجتماعي، أي إنها ينبغي أن تؤدّى بشكل جماعة، صحيح أن الصلاة فرادى صحيحة في الإسلام، لكن العبادة الفردية ذات طابع فرعي ثانوي.

إن الإسلام يمتلك بعداً كاملاً وشاملاً فيما يخص الأنا والآخر، سواءً فيما يتعلق بالمستوى الإلزامي أو التوجيهي الإرشادي، ألزم الإسلام المعتنق المؤمن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالجهاد والدفع عن المستضعفين ، وبرعاية أولي الحاجة والمسكين، ويلخص قيمة هذا البعد حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم " (٩٤) فلا يمكن التفكيك بين الجزء الفردي في التشريع والجزء الذي يهتم بالجماعة، وفي النتيجة ينال الآخر قيمة عليا في مسار التكامل البشري، ويأخذ مساحة واسعة في نطاق الأرحام، ومن ثم نرى الاهتمام الكبير في العلاقات الفردية والعامة.

أمام هذه المساحة المركزية للآخر نلاحظ في المعسكر المادي اهتماماً أحادياً بالفردانية جعلها محور التشريع وانتظام الحياة، وهي فردانية أحادية البعد. كذلك تهتم بالغايات المادية الدنيوية حصراً، فهنا لدينا مستويين من الاختزال، اختزال الحياة إلى المستوى الفرداني، واختزال الفرد في بعده الدنيوي. والانتماء إلى روح الفكر المادي يحول البعد الخاص بالآخر في حياتنا إلى جانب مهمل أو واقع في نطاق الاستغلال الفرداني لتحصيل المكاسب الدنيوية المباشرة حصراً، فنخسر ذلك الجسر الممتد بين الآني والأزلي.

" الآخرية هي كبح للذات عن وضع حدود لنفسها داخل نفسها، وعن سجن الذات في الذات، هي تعدٍ على غواشي النشأة الدنيا من جسد واهتمامات ملحقة بالإفراد الدنيوي الأرضي للروح، إلى ما بعد تلك السجون، إلى الآخر جسداً أو روحاً أو عقلاً أو قلباً. إن الآخرية سفر وهجرة وسلوان عن الأنا الموجودة بالأصل لحياطة الذات عن التوقف عن سلوك سبيل نيل كمالها وسعادتها الممكنة المتاحة لها، من أن تتحول إلى

شرنقة وقيد، ولذلك كان التكامل مشروطاً بتلك الآخرية، التي تتيح للإنسان أن يستعيد دفائن الفطرة ويستنطق الميثاق الأول في عهد الصفات الكاملة النورانية، وكذلك تتيح له اكتشاف الوجود المجرد عبر الخروج من النظر إلى نفسها والانتقال إلى النظر إلى جمال الوجود الذي لا يمكن أن يشاهَدَ، حتى في أبسط مراتبه وأولها، مع وجود المرآة الذاتية التي تعزل نظر القلب عن التطلع إلى الخارج، فيبقى حبيس غواشي النشأة منغلق البصيرة عما سوى نفسه، عبداً لها . ولا يمكن لمن يتعامل مع الناس بعين ذاته أن يشاهد الوجود ويدركه، فهو حتى عندما تحصل له المشاهدات ويلتفت نظره إلى الوجود، فإنه يشاهد ذاته علامةً لذلك الوجود ودليلاً عليه ولا يرى الوجود مجرداً بذاته، بل هو يراه من خلال ذاته ويراه مندكاً بين غواشي النشأة مقتصراً على إنيته المعهودة كدليل لا يشاهد سواه كي يستدل به، وهو يقدم نفسه ليذوب في نبع الوجود كيما يتميز على الأرواح الأخرى، فغايته أن يكون متمايزاً، ويريد أن يحصر الظهور الإلهي في ذاته، فيغفل عن أن الخالق هو مصدر فيض يطال كل الوجود والعالم، فالعوالم منغلقة داخل عين نفسه العمياء المقلوبة، ولذلك هو يرى الله في مرآة ذاته فقط ولا يراه في الكثرات الإنسية والأرواح، يريد أن يكون الله له وحده، ولا يريد أن يكون لغيره، فهو لا يقوم بما يقرب الآخرين منه، بل يقوم بما يقربه هو وحده من الله، أو ما يجعله متمايزاً عن الآخرين من خلال تلك العلاقة الخصوصية. " (٩٥) هذا هو التعاون المثمر والتفاعل بين الأنا والآخر في الإسلام والذي همشه بل تناساه ليفيناس.

ثالثاً: العناصر الأخلاقية (اليهودية) في فلسفة إيمانويل ليفيناس وصورتها المقابلة في (الإسلام)

١- الحرية الأخلاقية.

٢- التأكيد على قيمة التربية للأنا والآخر.

٣- التأكيد على قيمة التسامح والمحبة سواء للأنا أو للآخر.

٤- مبدأ المسئولية المتبادلة بين الأنا والآخر.

يقوم فكر ليفيناس انطلاقاً من علاقة الأنا بالآخر على التأكيد على التجربة الأخلاقية ، فالأخلاق بحسبة ليست قضية تأملية بل هي تجربة مباشرة لا تنتج عن برهان ولا تختزل بل تعاش " فكل إنسان يجد أن إدراك الآخر وحضوره يستحوزه ويتملكه بصورة مباشرة ، وفي رأى الفيلسوف، تكمن الحقيقة المركزية للأخلاق وبالتالي للإنسان كما هو في هذا التمزق المقلق الذي يسببه العالم من خلال الحضور الجسدي للآخرين الذي يفرض بصفة مختلفة عن حضور الأشياء. (٩٦) ومن هنا نجيب عن

السؤال الذي يطرح نفسه حالياً وهو: ما العناصر الأخلاقية (اليهودية) في فلسفة إيمانويل ليفيناس وصورتها المقابلة في (الإسلام)؟ وهو ما نحاول الإجابة عنه فيما يلى:

١- الحرية الأخلاقية:

تعد الحرية الأخلاقية صعبة المنال أو محاولة الوصول إليها من وجهة نظر ليفيناس ؛ لأنه يفترض بها أن تكون ملتزمة دائماً بتبعيتها للآخر، كما يفترض أيضاً بها أن تبقى تحت مراقبة الإلزامية الأخلاقية تلك التي توجب على الأنا الاستجابة لمتطلبات الآخر وتقدم ردة فعل مناسبة لطبيعة الذات الأخلاقية لابد من احترام الآخر في ذاته ، وفى غيريته والمحافظة على حريته. (٩٧)

إننا حتى عندما نفترض أن حرية الأنا سابقة على طلب الآخر نعود ونمتحن هذا الافتراض على قانون التحدي والاستجابة أو الفعل ورد الفعل ، إلى كون الفعل سابقاً على ردة الفعل أو التحدي سابق على الاستجابة فكذلك طلب الآخر سابق على استجابة الأنا وبالتالي فهو سابق أيضاً على حريتها. (٩٨)

الأمر الذي جعل ليفيناس يؤكد على أن التفلسف هو أن نصعد إلى ما قبل الحرية، إلى ما يحدد الحرية من أجل الأخر مشاكلة للمسؤولية عن الآخر وهذا يعنى أنه مثلما أن الايتيقيا تسبق الأنطولوجيا فإن المسؤولية – أيضاً – تسبق الحرية وتشترطها فتحولها إلى حرية انفتاح على الآخر، أي حرية لا أنطولوجية بخلاف الحرية السارترية التي ظلت أسيرة الإكراهات النظرية للأنطولوجيا الفينومينولوجية لكتاب الوجود والعدم.(٩٩)

لقد نادي ليفيناس بالحرية المسئولة من الأنا والآخر ، خاصة وأن حرية الذات ليست هي القيمة الأسمى أو الأسبق ، فتبعية استجابتنا للآخر الإنساني أو حريتنا الذاتية في اللحظة التي اعترف فيها بأنني أنا المسئول أقبل بأن تكون حريتي مسبوقة بإلزام يأتيني من الآخر، إنها مسألة الحرية والمسئولية ، وطبيعة تفاعلهما في إطار الأنا الأخلاقي حيث الوعي بمسئولية الأنا يجعله في موضوع إلزامي أخلاقي تجاه الآخر إلى درجة تسبق هذا الإلزام نحو الآخرين على الحرية الذاتية وما يرغب الأنا في إشباعه من حقوق وحتى رغبات أنها لحظات من تعالى الذات الأخلاقية التي تروض وتكبح رغبات الأنا عند تقاطعها مع التزامات الآخر. (١٠٠)

اعتمد ليفيناس في رؤيته الفلسفية حول الحرية الأخلاقية وعلاقة الأنا بالآخر انطلاقاً من مرجعيته اليهودية مع أن الإسلام أقر الحرية ونادا بها ، إن الحرية في وجودها ليست فكرة خيالية أو حالة نفسية معينة من خلق فلاسفة علم النفس يتصورونها

كما تشاء أهواؤهم. وإنما الحرية حالات واقعية تشتق وجودها من المجتمعات البشرية، وتحددها العلاقات القائمة بالفعل بين الناس وهي بحكم ذلك ليست داخلية أو مظهراً من مظاهر النفس البشرية، وإنما هي خارجية ــ باعتبارها ظاهرة اجتماعية ــ حيث تسبق وجود الأفراد ونفوسهم في المجتمع. وهي ليست فردية، وإنما هي جمعية تتعلق بكل الأفراد في المجتمع، وباعتبار تشابه الظروف المحيطة بهم، سواء أكانت هذه الظروف مكانية أم زمانية. (١٠١)

والحرية في الإسلام هي الحرية المقيدة بالقيود المنطقية بمعنى أنها حرية مقيدة بخير أو بحق الآخرين، وهذا القيد المنطقي يحول بين الحرية وبين انعكاس مدلولها إلى مفهوم الفوضى في المعاملات والعلاقات وشتى أنشطة الحياة بوجه عام ، وفي حدود هذا الإطار قرر الإسلام حرية العقيدة، وحرية التملك، وحرية التصرف، وحرية الرأي، وحرية القول، وحرية الكتابة، وحرية الاجتماع. (١٠٢) تطبيقاً لقوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ (١٠٣) وليس هناك حرية من الحريات العامة لا يعرفها الإسلام. وليس هناك حرية تدعو إليها الحاجة مستقبلاً ويقف الإسلام عقبة في سبيل التمتع بها ومزاولتها. فالحرية في الإسلام أصل عام. يدل عليه طبيعة الإسلام ــ كدين سماوي هو خاتم الرسالات السماوية ــ كما يدل عليه الكثير من النصوص التي وردت في القرآن والسنة. فالحق تبارك وتعالى يقول في محكم آياته ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩ ﴾ (١٠٤) وبعد أن خلق لهم ما في الأرض سخره لهم ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۚ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥ ﴾ (١٠٥) وتتوالى الآيات كثيرة في هذا المعنى. ومقتضى ذلك أن الأصل في الأشياء الإباحة. فلن يكون كل شيء في الأرض قد خلقه الله للناس، وكل شيء في الأرض سخره الله للناس إلاّ إذا كان مباحاً لهم يستمتعون به فضلاً من ربهم ونعمة.

والحرية في الإسلام تكفل لك أن تتصرف بشرط ألاّ تصادر حق أخيك في التصرف، وتَكْفُل لك أن تتصرف بشرط ألاّ تُعرِّض مصلحة المجموع كلها للخطر ، فهذا وذاك يمثلان حدين تقف عندهما الحرية فلا تتعداهما. ولقد صور رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك في حديثه الشريف وهو يقول: " مثل القائم في حدود الله (المنفذ لأوامر

الله) والواقع فيها (المرتكب للمعاصي) كمثل قوم استهموا على سفينة (أي ضربوا قرعة على اختيار أماكنهم فيها) فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها. فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء (إذا أرادوا الماء) مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن اخذوا على أيديهم (ومنعوهم من فتح هذا الثقب)، نجوا، ونجوا جميعاً ". (١٠٦) فهنا نرى أن حرية البعض في التصرف كما يريدون قد قيدت لمصلحة المجموع ، فهذا البعض إن تصرف كما يريد أنزل الضرر بمصلحة المجموع كله ، والإسلام دين الفطرة السليمة يرفض ذلك ويأباه.

وقد احترم الإسلام حرية الاعتقاد، وأتاح للفرد أن يختار الدين الذي يرتضيه من غير إكراه ولا إجبار طالما كان أساس اختياره التفكير السليم وحده دون أية دوافع أخرى، كالتقاليد وغيره. فإذا ما اختار الإنسان بحريته ديناً معيناً، فإن الإسلام يحمى ذلك الدين الذي اختاره وارتضاء ولا يكرهه على خلاف ما يقتضيه.

واتصال العقيدة بحرية الفكر ينبع من كون العقيدة هي ما يعقد عليه قلب الإنسان وضميره، ومن ثم فإن أساس تكوينها لدى الإنسان هو العقل والفكر. ولذا كانت العقيدة في الإسلام هي التي تنبني على اليقين الصادق ولا يكتفي في صددها بمجرد الاتباع والتقليد. ومن ثم فلن يكون مستغرباً أن ينكر القرآن على بعض الأعراب إيمانهم الذي أدعوه، لأن القناعة النفسية لم تكن قد استقرت في قلوبهم وتمكنت من مشاعرهم. (١٠٧) فقال تعالى ﴿ * قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (١٠٨)

ولم تكتف شريعة الإسلام بتقرير حرية التفكير ولكنها أضفت عليها حمايتها، وذلك حين ألزمت الناس باحترام حق الغير في اعتقاد ما يشاء، وتركه يعمل طبقاً لعقيدته. وبَيَّنَتْ أنه إذا كان هناك ثمة معارضة فلا تكون إلاّ بالحسنى ولبيان وجه الخطأ، فإن قبل صاحب العقيدة أن يرجع عن خطئه مقتنعاً فلا حرج، وإن لم يفعل فلا يجوز إكراهه ولا تهديده. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (١٠٩) وهكذا أضفى الإسلام حمايته على من يعيشون في كنفه من أهل الأديان الأخرى فأتاح له أن يتعبدوا على مقتضى دينهم، ومنع الحكام من التضييق عليهم في إقامة شعائر دينهم. والقاعدة الفقهية التي حرص المسلمون على تنفيذها هي: " **إننا أمرنا بتركهم وما يدينون** ". ومصداقاً لذلك فإن عمر رضي الله

عنه حين ذهب إلى بيت المقدس لم يُصلِ في الكنيسة خوفاً من أن يزيلها المسلمون من بعده ويقيمون على أنقاضها مسجداً، وهكذا يحمى عمر الشعائر الدينية لمن كان في ولايته من غير المسلمين.

وهكذا كان للإسلام الفضل كل الفضل في تقديم أرقى مضامين الحرية ، بل لولا الدور الذي قام به وقاده من أجل الحرية الإنسانية لما تيسر لكثير من القيم التقليدية المسماة اليوم في المذاهب العصرية بالحرية الشخصية، والحرية الاجتماعية، والحرية السياسية أن تكون لها كل بريق الخداع والتزييف الذي تقوم به. ذلك أن كل الأنظمة الاجتماعية، والمذاهب الدينية، والسياسية، التي كانت في العالم المعمور قبل الإسلام لم تضع له من الأساليب ما يُمكِّن الفرد من ممارسة حياته العامة بل لم يشعر بوجوده ككائن حي له قيم واعتبارات الكائن الحي... مثلما جاء به الإسلام. (١١٠)

٢- التأكيد على قيمة التربية للأنا والأخر:

يؤكد ليفيناس على أن التربية على السلام والمحبة يمثلان جوهر الإيمان في اليهودية ، وأن الطقوس والشعائر مدرسة حية في التربية على التسامح وحجته في ذلك أن رسالة الدين تحمل مفهوماً آخر للتسامح وتحث على تكريسه عملياً في العلاقة الأخلاقية بالآخر ، بل تجعل التربية على التسامح فريضة دينية وتجسيداً للصلة الحقة بالله. (١١١)

هذا وتقتضى التربية وجود الآخر ، وتتم في إطار الحياة الاجتماعية اعتقدت اليهودية أن الوعي بالذات وهو وعى بوجود الله غير ممكن بدون وساطة الآخرين ، فجعلت مهمة تنميته مسؤولية جماعية ، وحرصت على دراسة النصوص الدينية والآثار التي تمثل خزاناً لأعمال البشر ، وجهودهم في سبيل الوعي بإنسانيتهم. (١١٢) وقيمتهم وفهمهما وفى سبيل مراجعة المفاهيم وجعلها أكثر احتراماً للإنسانية كما عملت على ترجمة النظر إلى عمل وتحفيز المجهود والمبادرة عبر الانضباط للنفس ، فلا معنى للفكرة ما لم تتجلى في العمل والواقع. ويشترط بذلك ليفيناس شروط مهمة من أجل تحقيق ضيافة إنسانية ذات معنى بين الأنا والغير أو الآخر، أي أن العلاقة بين الأنا والغير مبينة على الاحتواء الايتيقي الأخلاقي، وتتمثل هذه الشروط فيما يلي:

أ- لكي يعيش الناس إنسانيتهم، ليسوا في حاجة لكل هذا الصرح والبذخ الحضاري، إذا يمكنهم أن يتقاسموا الحد الأدنى منه ويعيشوا على الكفاف والعفاف والغنى من تزيف الحضارة.

ب – لنعش تحت ظل التين والزيتون ولنعتقد في عودة القيم، ولنتحمل مسئولية السلام، ولنغامر بشكل حربي من أجل إبعاد كل خطر عن الإنسانية.

ج – لنتعلم كيف نكون أقوياء في العزلة، وأن نجعل من ضعف وعينا قوة ومن شتات عالمنا نظاماً وانسجاماً، ومن خجلنا من أنفسنا فخرا. (١١٣)

أما التربية الأخلاقية الإسلامية للأنا والآخر فتقوم على أسس ثابتة، لا تخضع للتبديل ، والتغيير ، والحذف ، والتكميل ؛ لأن المصدر الذي يستقي منه محتواها ثابت لا تحريف فيه ولا تغيير: وهو لا يعني الجمود، وإنما هو ثبات محوري ، يسمح بالحركة والتطور. وثبات أسس التربية الأخلاقية الإسلامية، نتيجة حتمية يقتضيها علم الله بخفايا النفس الإنسانية ، وإبداعه في إحكام وظائف هذه النفس، وتدبيره في تمام تناسقها وتكاملها ؛ مما يزيدنا يقيناً بأن التربية التي تستمد مبادئها ومناهجها من كلام الله وشريعته، ستبقى ثابتة على مدى الأجيال، جديدة لا يبدلها الزمان، ولا يغير من صلاحها تطور حضارة الإنسان. (١١٤)

فمن خصائص التربية الأخلاقية الإسلامية للأنا والآخر أنها تجمع بين الثبات والتغير، فالثبات يكون: في الأهداف، والأسس، والقيم، والمرونة في الوسائل والأساليب. وما من شك في أن الثبات يلبي رغبة كامنة في نفوس البشر ، من حيث حب الاستقرار والاطمئنان على المستقبل، وعدم القلق، والاضطراب جرّاء تغير الواقع. (١١٥) كذلك من الضروري أن يكون هناك ميزان ثابت، يرجع إليه الإنسان في كل ما يُعرض له من: مشاعر، وأفكار، وتصورات، وكل ما يجد في حياته من: تصرفات ، وسلوك ، وحوادث، فيزنها بهذا الميزان ؛ ليعرف مدى قربها أو بعدها عن الصواب. فالثبات والاستقرار إلى حد معين، لا غنى عنهما لتربية النشئ، كما أن التغيير العنيف يسبب القلق ، وعدم الإحساس بالأمن لدى الإنسان، ولا يمكن للتربية أن تكون ناجحة في مجتمع، تتغير فيه: القيم: والمواقف: والأهداف بين عشية وضحاها، وما الوضع الفوضوي في المجتمعات الصناعية الحديثة، إلا نتيجة ذلك حيث أصبح المركز المستقر للثقافة باهتاً. (١١٦) فالتغير الذي تنشده التربية الأخلاقية الإسلامية " لا ينبغي أن يكون منفلتاً من كل قيد، وإنما تحكمه في حركته ، القيم الثابتة ، أو الجوانب الثابتة في حياة الإنسان ؛ فتضبط منطلقه في الأرض دون أن توقف حركته، أو تحد منها، وتمنع عن حياته الخلل والاضطراب " (١١٧)

وحينما تتصف أسس التربية الأخلاقية الإسلامية بالثبات ؛ فإن لذلك مردوداً كبيراً ينعكس على العملية التربوية بُرمتها، إذ ينصرف جهد القائمين عليها، نحو تطوير

وسائلها وأساليبها واستراتيجياتها في ضوء أصولها الثابتة، مما يوفر عليهم الجهد والوقت، ويقيهم من: التخبط ، والتردد ، والحيرة أمام السيل الجارف من الفلسفات والاتجاهات التربوية المتباينة في عالمنا المعاصر.

٣- التأكيد على قيمة التسامح والمحبة سواء للأنا أو للآخر.

أكد ليفيناس على ضرورة التآخي ، وفكرة الجنس البشرى ، ولعل أقصى درجات الوعي هنا أن يغيب التمييز بين الأنا والأخر ، ويؤكد ليفيناس أن التسامح الحق، الكفيل بمنع العنف ، وتحقيق قيم المحبة والسلام، يقوم على تأويل آخر للوجود الإنساني، مغاير للفهم الذي قدمه تاريخ الفلسفة ، وهو تأويل يتقاطع مع الرسالة الإنسانية التي حملها الدين إلى العالم منذ ما يقارب الثلاثة آلاف عام. (١١٨)

هذا ومن منطلق التسامح الأخلاقي وعى ليفيناس إلى أن الأنا المحبة تملك وعياً حميماً يذهب نحو الغير، يسود بين الأصدقاء (١١٩) أو بين الإخوة والأطفال ، وكذا الآباء الذين جميعهم يمثلون بالنسبة للأنا إحساساً بالغيرية يقول ليفيناس: " الحب يبقى بمثابة علاقة مع الغير منعطفاً بالحاجة وهذه الحاجة بدورها تفترض برانية شاملة تعالى الآخر والمحبوب فهو يذهب – أيضاً – إلى ما وراء المحبوب. " (١٢٠)

فالمحبة تبدأ بالآخر، وبالطيبة تجاه الآخر تؤكد الأنا ذاتها ، وتبنى ذاتها كائناً بشرياً ، الطيبة التي تنشئ علاقة مع اللامتناهي الذي يعبر عنها وجه الآخر ، ومن ثم يحدد هنا ليفيناس الفلسفة على أنها محبة الحكمة ، بل على أنها حكمة المحبة في خدمة المحبة. (١٢١)

التسامح عند ليفيناس كان من منطلق اليهودية التي أثرت عليه لذ رأى أن التسامح فريضة دينية وواجباً أخلاقياً يمثل التربية فيه على التسامح شعيرة دينية من صميم الإيمان وتجسيداً للوعي بوجود الله لا يستمد الشخص إنسانية ودافعه إلى الفعل من تقدير ذاتي لوجوده ؛ لأن التشريع الذاتي وإن كان يرجع إلى الذات في نهاية المطاف بحكم الاصطفاء والمسؤولية فإنه يرجع إلى ذات واعية بتبعيتها وبحدودها ، حذرة عن اقتراف العنف والتعدي على حق الآخر الذي يعد تطاولاً على الله. إنها ذات تمت واكتملت في الوعي بوجود الله المتواري بين ثنايا وجه الإنسان الآخر ، إذا ما شرع الشخص ووضع القيم والمبادئ فلأنه يفعل ذلك استحضاراً للانهائي الذي يسم قدراته بالعجز والحياء ؛ ولأنه يعرف أن حبه للآخر تجل لحب وتقوى الله. إن الله لا يتدخل في شئون البشر ولا يغفر الذنوب جميعاً – من وجهة نظر ليفيناس – لكنه يأمر وينظر في العلاقات بين الناس منتظراً استجابتهم.

ويؤكد ليفيناس أن العلاقة بين الأنا والآخر تكون أفضل في حالة الاختلاف منها في حالة المماثلة ، ومن ثم فإننا نسمو بقيمة الحب عندما لا نسعى إلى اختزال الآخر في الذات والتطابق معه إلى حد التماهى التام، فمن وجه نظر أخلاقية، نحن نستطيع أكثر حينما نكون اثنين. (١٢٢)

"إن فلسفة ليفيناس الإتيقية هي محاولة للتقرب من الغير اللانهائي بفتح صفحة أخلاقية جديدة معه ، هي وصل بعد فصل وقطع بين الذات والغير عبر الذاوت والتفاهم والتخاطب والاعتراف واللاعنف والمسؤولية المتبادلة. " (١٢٣) وعليه فإن فلسفة ليفيناس كما يرى الدراجي زروخى ترمى إلى الكشف عن الأصل الحقيقي في التعامل بين البشر ، وفق علاقة إتيقية ، تروم النزاهة في التعامل بين الذاوت ، ومن هنا يؤكد على أن هذا التربية في اليهودية في إقامة علاقة بين الإنسان وقداسة الإله ، وإبقاء الإنسان داخل هذه العلاقة.

إن دعوة ليفيناس في التأكيد على قيمة التسامح والمحبة سواء للأنا أو للآخر المنبثقة من اليهودية هي نفس الرؤية تماماً في الأخلاق الإسلامية ، غير أن نظرة ليفيناس المتحيزة إلي بني جلدته أفقدته الكثير من الموضوعية والحياد ، ولذلك نؤكد علي " أن الإسلام دين عالمي ، يتجه برسالته إلي البشرية كلها ، هذه الرسالة التي تأمر بالعدل ، وتنهى عن الظلم ، وترسي دعائم السلام في الأرض ، وتدعو إلي التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً ، في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس ، بصرف النظر عن: أجناسهم ، وألوانهم ، ومعتقداتهم. فالجميع ينحدرون من نفس واحدة. " (١٢٤)

الإسلام يرى أن الاختلاف بين الناس في: أجناسهم ، ولغاتهم ، وعقائدهم ، لا ينبغي أن يكون منطلَقا أو مبرِّراً للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب، بل الأَحْرَى به أن يكون دافعا إلي: التعارف ، والتعاون ، والتآلف بين الناس ؛ من أجل تحقيق ما يَصْبُون إليه من تبادُل للمنافع ، وتعاوُن على تحصيل المعاش ، وإثراء للحياة.

" ويرتبط التسامح بدعوة الإسلام ، إلي العفو والصفح عند المقدرة ، وهو ما يزيد العلاقات البشرية صفاء ، ويُهَدِّئ من نيران الثأر التي ابتُلِي بها المجتمع الجاهلي ، وأَخمَدَها الإسلام ، وهو العفو المطْلَق الذي سنَّه المصطفى صلي الله عليه وسلم حين فتح مكة ، فقد " وقف براحلته في قلب مكة ، التي أصبحَتْ هي ومن فيها في قبضة يده ؛ ليقول قولته المشهورة ، للذين ظلُّوا أكثرَ من عشرين سنة يناصبونه العَداء: (**ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا: خيراً ، أخ كريم ، وابن أخٍ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء.**) أي المحرَّرين من الأَسْر والعبودية ، التي كانوا – حينئذ فيها بمنطق الحرب ، أن يصبح

الأسير عبداً. " (١٢٥) وهذا هو الصفح الذي أمر به المسلمين جميعاً كما جاء في قوله سبحانه وتعالي ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (١٢٦) كان لابد لقيمة التسامح في الإسلام ، أن تتصهر في بوتقة من القيم الإسلامية ؛ كي تُدَعِّمَها وتُقَوِّي أركانها ، ومن هذه القيم: الأمانة ، والعدل اللتان تدعوان الإنسان – دائماً – إلي الالتزام بها ، بدْءًا منْ رَدِّ الأمانات إلي أهلها، إلي الحُكْم بين الناس بالعدل. فالأمانة والعدل يقفان على النقيض من مطلَق الخيانة والظلم ، وهما آفة البشرية ، وأساس الصراع ، ومَدْخَلُ التدهور والفساد. (١٢٧)

٤– مبدأ المسئولية المتبادلة بين الأنا والآخر.

المسئولية عند ليفيناس " ممتدة في اتجاه لا متناهي حيث تمتد هذه المسئولية إلى الآخر وحتى العدو ليصبح لها بعد سياسي مؤسس للمدنية والدولية ، ومنه فالأنا ملزمة بتحمل أعباء الآخر ومسؤوليته ليست بالمعنى القانوني وإنما بالمعنى الايتيقى " (١٢٨)

إن المسئولية تجاه الآخر عند ليفيناس ليست رهينة تجربة الوعي أو وعى التجربة إنها مسئولية لانهائية وتجربة أخلاقية ، والوعي بالحاجة إلى الآخر ينكشف من خلالها كوجيتو جديد هو كوجيتو الوجه إنه في الحقيقة كوجيتو عاطفي أخلاقي ، أنا أعانى أنا أتمتع إذن أنا موجود. (١٢٩) المسؤولية ليست فقط مسؤولية تجاه الآخر لكن – أيضاً – من أجل الآخر في مكانة هذا يؤدى إلى أنى يمكنني أن أحل محل مسئوليته حتى وإن كان لا أحد يستطيع أن يحل محلى يتحمل مسئوليتي أنا مسئول عن الآخر، مسئول حتى عن مسئوليته. إن الحرية في أن أستبدل إرادتي بإرادة الآخر (١٣٠) إن السبيل الوحيد إلى الله عند ليفيناس لا يكون إلا من خلال هذا الآخر الإنساني ، أي من خلال مسئوليتنا عن هذا الآخر ، تلك المسئولية التي تسبق القانون، والتي يمكن وصفها بأنها "وحى الله" وهنا يتحول التعالي المطلق لله إلى مسؤولية ذاتية تجاه الآخر. (١٣١) فإن الأنا يشعر بمسئولية تجاه الآخر ، والذي أجد نفسي ملزماً أخلاقياً بالدفاع عنه ، وعن حياته ، واستحالة ترك هذا الإنسان وحيداً أمام لغز الموت. (١٣٢)

يعبر حضور وجه الأخر عن ليفيناس عن حالة من الأمان والرغبة في التعاون والمسئولية الذاتية عن الآخر، فالوجه لوجه ليست دعوى إلى الصراع والعنف، كما ذهبت إلى ذلك وجودية سارتر الجحيم هم الآخرون ، بقدر ما هي علاقة قبول وحوار وتسامح ، وفي هذا القبول بالآخر دون احتوائه في منظومتنا المعرفية فالوجه يقاوم دائماً

التملك والاحتواء ، ولأن الأنا مسئولة عن الآخر ، يرى ليفيناس أن موت الإنسان الآخر يجعلني في موضع اتهام ، أي أنني تخليت متعمداً عن مساعدة هذا الآخر للنجاة من الموت، فأنا بذلك الفعل إنسان لا أخلاقي، تخليت بمحض إرادتي الحرة عن مساعدة هذا الآخر الذي تركته يواجه الموت وحيداً، والذي كان من الممكن أن أمد له يد العون ، لقد تركته يعانى ألم الموت وحيداً ، يقول ليفيناس: " كما لو كان ذلك الموت الخفي الذي يواجهه وجه الغير، كان أمراً متعلقاً بي أو يخصني، وكأن هذا الموت يراني. إن موت الإنسان الآخر يضعني موضع اتهام ، فالأنا بعدم اكتراثها ولا مبالاتها يجعل منها شريكاً في موت الغير، ومن ثم فهي مطالبة دائماً بتحمل مسئولية موت الآخر وعدم تركة يموت وحيداً. (١٣٣)

جرم ليفيناس القتل فيقول " إن يوميات الحروب تخبرنا بأنه من الصعب قتل إنسان يحدق فينا بعينية وجها لوجه." (١٣٤) وهنا يعلق ليفيناس مبيناً بأنه لا يمكن لأي شخص يلتقي بآخر وجها لوجه ثم يقتله، فالوجه دلالة، لكنة دلالة لا سياق لها. أي أن الآخر يحمل الكثير من الدلالات الإنسانية في وجهه، وذلك سواء أكان في السلم أم في الحرب، وهذا عين ما يقصده بمقولته " دلالة خارج السياق " فحرمة قتل الإنسان موجودة في الوجه في كل الأحيان ومع اختلاف الظروف والمواقف.

والموت عند ليفيناس بمثابة لغز كبير، لذلك أكد على عدم ترك الآخر وحيداً أمام لغز الموت ، فالموت عند ليفيناس هو إعلان عن حدث لا تكون فيه الذات هي السيد المسيطر على الحدث، بل إنها تكف عن أن تكون ذاتاً بالنسبة إليه. (١٣٥) فقرب القريب هو بمثابة مسئولية الأنا من أجل الآخر. (١٣٦) والمسئولية هنا كما يقول ليفيناس " ليست شرطاً قانونياً بارداً، وإنما مسئولية ديناميكية حية تنبع من الإلزام الأخلاقي وحدة، إنها المسئولية عن حياة هذا الآخر واستحالة تركه وحيداً أمام لغز الموت، هي – أيضاً – التي تدفع الأنا لتقديم كافة العطاءت والهبات أو إن شئت قل التضحيات التي تبذلها الأنا بلا انتظار مقابل والتي تتمثل في الموت من أجل الغير. (١٣٧)

ومع ليفيناس، يتحول الخوف من الآخر إلى خوف عليه، وعدم تركة وحيداً أمام الموت ؛ فالحفاظ على حياة الآخر هو مسئولية الأنا والقلق بشأنه، وهو قلق كانطي لا ينتظر جزاء ولا شكوراً ، وليس قلقاً وجودياً عبثياً ومن ثم يراه ليفيناس حباً على طريقة بسكال " الحب بدون شبق " لأن هناك تفانياً في التضحية، قداسة في الإحسان والرحمة. فموت الإنسان الآخر يجعلني موضع اتهام ، أي أنني تخليت متعمداً عن مساعدة هذا الآخر للنجاة من الموت، فأنا بذلك الفعل إنسان لا أخلاقي تخليت بمحض إرادتي الحرة

عن مساعدة هذا الآخر الذي تركته يواجه الموت وحيداً. يقول ليفيناس: " كما لو كان ذلك الموت الخفي الذي يواجهه وجه الغير، كان أمراً متعلقاً بي أو يخصني، وكأن هذا الموت يراني. إن موت الإنسان الآخر يجعلني متورطاً ويضعني موضع اتهام ؛ فالأنا وكأنها قد أصبحت متواطئة بعدم اكتراثها ولا مبالاتها يجعل منها شريكاً في موت الغير، ومن ثم فهي مطالبة دائماً بتحمل مسئولية موت الآخر ، وعدم تركه يموت وحيداً.(١٣٨)

وهنا تظهر الأخلاق كنقيض للعنف ، وكممهد للحفاظ على الحياة وعدم جعلها في خطر، فالمسئولية الأخلاقية هي تحريم أي فعل عنيف يؤدى بحياة الآخر، وأن الأنا دائماً يمتلكها خوف على الغير خوف يتقدم ذاتيتها، وهذا ما يستوجب الشعور بمدى حاجة الآخر إلى الشعور بإنسانيته قبل الموت وأن أكون بجواره دائماً، فهذا هو حدث الوجود عينه. (١٣٩)

إن تحمل المسئولية تجاه الآخر على وجه العموم هي نوع من الامتياز الاعتباطي الممنوح للآخر، فكيف أتحمل واجبات أخلاقية تجاه الآخر دون معرفة حقيقية ودقيقة لموقفه من الذات ؟ وهل يستوي موقفي من الآخر سواء أكان على حق أم على باطل ؟! سواء أكان عدواً أم صديقاً ؟ معيناً أم مغتصباً ؟ يده ممدودة بالسلام أم بالغدر ؟... كما أن ليفيناس يحصر بناء العلاقات الأخلاقية انطلاقاً من تجربة الوجه وحدها فإن كان هذا ممكنا في إطار الأفراد أو في نطاق الجماعة المحدودة، فإنه يكون بلا معنى في العلاقات الدولية وتجاه الأمم وبعضها.

إن دعوة ليفيناس في التأكيد علي مبدأ المسئولية المتبادلة بين الأنا والآخر هي نفس ما دعا إليه الدين الإسلامي الحنيف حيث ترتبط الأخلاق الإسلامية بفكرتيْ: المسئولية ، والجزاء بدرجة كبيرة، بحيث لا يمكن تصور الإلزام الخلقي بدون مسئولية أو جزاء ؛ لأنها جميعها تتضامن وتتتابع وجوداً وعدماً. (١٤٠) إذ لو أصبح الإلزام خالياً من المسئولية، لأصبح معناً صورياً بدون شخص مُلزَم بأحكامه الخلقية ، كما أنه لا يوجد كائن أياً كان مُلزماً ومسئولاً بدون أن يوقَّع عليه جزاء مناسب، وإلاّ أمست القضية فارغة لا معني لها. فالواقع يشهد بأن الإلزام الخلقي يستتبع المسئولية الأخلاقية، ثم يأتي بعدها الجزاء. يقول **الدكتور محمد عبد الله دراز:** " إن الإلزام بلا مسئولية ، يعني القول بوجود إلزام بلا فرد مُلزَم، وليس بأقل استحالة من ذلك أن نفترض كائناً ملزماً ومسئولاً، دون أن تجد هذه الصفات ترجمتها وتحققها في **جزاء** مناسب، فإن معنى ذلك تعرية الكلمات من معانيها. " (١٤١) وقد حدد القرآن الكريم المسئولية. حيث قال الله تعالي:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (١٤٢) والإنسان العاقل يُعتبَر مسئولاً. والعقل والمسئولية طرفان متصلان لا ينفصلان. إذا انتفي أحدهما انتفي الآخر. فلا مسئولية علي غير العاقل، وكذلك لا عاقل بدون مسئولية. (١٤٣) بل إنه محاسَب علي نعم الله تعالي عليه. يقول الحق سبحانه وتعالي: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ (١٤٤) وبهذا المعني أري أن المسئولية علاقة حق، بمعني أن الإنسان الذي ينتهك حرمات الآخرين، هو أولاً وأخيراً قد ظلم نفسه، باعتدائه هذا، واقترافه لهذا الذنب. يقول الحق سبحانه وتعالي: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (١٤٥) أولئك القائلون في المسئولية والتكاليف بغير أن يلتزموا بالوحي، الباحثون عن الحق والواجب بغير هدي، يوصَفون بالكذب ثلاث مرات في آية قرآنية واحدة، فكانوا لأنفسهم من الظالمين ، ولبني جنسهم مضلين.

والمسئولية نتيجة لازمة لوجود الحرية ؛ لأن الحرية تخلق مجال الاختيار، والإنسان المسئول يحاسَب علي تنفيذ فعله. ويتدخل في تكوين شعوره بالمسئولية عنصران ظاهران: العنصر الاجتماعي ، والعنصر الخلقي. فمن ناحية العنصر الاجتماعي: فإن الإنسان يمر بخبرات اجتماعية تنمي فيه الشعور بالمسئولية، كإحساسه بوقوع الجزاء عليه، وذلك فيما إذا تكرر منه إتلاف شيء مملوك لغيره، وطُولِب في كل مرة بإصلاح ما أتلفه ، أو إذا حدث منه ما يستوجب اللوم، ولقي من المجتمع التأنيب في كل مرة. إن تكرار أمثال هذه الخبرات الاجتماعية، يولِّد في الفرد شعوراً بالمسئولية عن تصرفاته نحو المجتمع. وهذا الشعور يتضمن ضرورة مراعاة الأوضاع الاجتماعية ؛ منعاً لتكرار الخبرات المؤلمة.

رابعاً: رؤية نقدية لفلسفة الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس.

ما من شك أن إيمانويل ليفيناس جدد الفلسفة من العمق سواء من جهة تحديده الذاتية من خلال المسئولية أم من جهة تركيزه على الجسدية. لذا عرفت الفلسفة مع ليفيناس تحولاً لم تشهده ، ربما منذ أفلاطون ، كأن الفلسفة معه وصلت إلى ضالتها، وهو ما أتضح لنا جلياً من خلال ما تم عرضة ، خاصة فيما يتعلق بالبعد الأخلاقي عند ليفيناس ، وبعد أن تبلورت فلسفة الأخلاق عند ليفيناس بصورة شبه مكتملة في المباحث السابقة نرى أن هناك مجموعة من الرؤى النقدية التي يمكن توجيهها إلى فلسفة ليفيناس الأخلاقية.

١ – إذا كان ليفيناس يريد أن يتصدي لتلك النظرة الدونية والاحتكارية للآخر من طرف الذات، وهو الأمر الذي ساد طوال التاريخ الفلسفي الغربي وظهر بقوة – على وجه الخصوص – في الفلسفة الحديثة عند توماس هوبز، وفى الفلسفة المعاصرة عند جان بول سارتر، فإنه يمكن القول بأن ليفيناس وقع فيما وقع فيه أصحاب النزعة الذاتية التي جعلت الذات في مواجهة جحيم الآخر وكأنه ذئب شرس ؛ حيث اهتمت بالآخر على حساب الذات، فالآخر هو الآمر المسيطر والمتحكم ، في حين أن الأنا هي الخاضع والمستجيب، ومن ثم تتخلى الأنا عن محورتيها لتسلم مقاليد أمورها للآخر المميز المتعالي فتصبح مفعولاً بها وليست فاعلاً ؛ ليقع بذلك ليفيناس في التطرف الذي وقع فيه أصحاب النزعات الذاتية المتمركزة حول الأنا، فإذا كانت الغيرية عند ليفيناس جاءت لتحكم انعزال الأنا ، إلا أنه حطم الأنا تحت سطوة الآخر.

٢ – كان على ليفيناس أن يثبت عملياً أن الآخر هو الآخر الإنساني بلا استثناءات كما زعم وسبق أن بينا، فكان عليه أن يتخذ موقفاً نقدياً حاسماً تجاه ممارسات الإسرائيلي المحتل – الذي يتوجه له تفلسف ليفيناس – الذي يقتل الأطفال والنساء والفلسطينيين العزل وجهاً لوجه. فأين هذا الأنا المسئولة عن حماية الآخر ؟ وأين الوجه الذي ينادي دائماً " لا تقتل أبدا"؟وأين تلك المسئولية التي تجعل الأنا تضحى بذاتها من أجل الآخر؟

لا شك أن صرخته عقب مذبحة صبرا وشاتيلا:" إن الإنسان أكثر قداسة من كل الأرض المقدسة " لم تكن سوى عبارة لذر الرماد في الأعين ، ولذلك يسخر تلميذ ليفيناس من ذلك الوضع قائلا: " وفى هذه الحالة فإنه بإمكان " بوشات " و" شارونات " كل عصر ومصر أن يستأنفوا مشروعاتهم الإبادية بكل راحة ضمير، وان يقرأوا من حين لآخر ما تيسر من صفحات كتب تشبه كثيراً أو قليلاً " كلية ولا نهاية " أو " آخر الكينونة " وما بعد الماهية "! ذاك هو منطق ثالوث اللؤم المزمن: فرعونية – هامانية – قارونية (سلطة – معرفة – كسب) !... والذي للممكن العبري اليهودي الصهيوني "الأخلاقي جدا " أكبر الدور في تأجيجه واستشرائه واستفحاله ! (١٤٦)

إن الحروب التي تحمل في طياتها الويلات والموت والهلع والإبادة، تتحطم فيها العلاقات البشرية وتتقطع أواصر اللقاء فيكثر الخلاف والفرقة فيضحى الأنا والآخر مشتتين ، فالحرب ليست مجرد محنه أخلاقية كما يقول ليفيناس وإنما تجعل الأخلاق تصل إلي حد السخافة ، إن العنف قرين الحرب ، هذه الأخيرة ممكنة دائما كما يقول ليفيناس، والسلام هو غياب الحرب، الحروب التي جلبت في طياتها الويلات والموت والهلع والإبادة والقتل تتشظى فيها العلاقات البشرية وتتقطع أواصر اللقاء فيكثر الخلاف

والفرقة ، ويسود الانشطار فيضحى الأنا والآخر بعيدين عن التعارف والتآلف لكن من خلال العلاقة التي تتأسس بين الذات والغير سيحل السلام وتتجلى أخلاق الوئام ، فإذا كان الوجود كلية تؤسس الوحدة على الخارجية والفصل الأنطولوجي فإن الإتيقا تتعدى كل ذلك بامتياز. (١٤٧) وهكذا نجد فرق واضح بين دعوة ليفيناس لرفض العنف في الوقت الذي يبيح لجيش الاحتلال أن يقتل العزل بوازع الدفاع عن النفس.

يرى ليفيناس أن الحرب تهدد الآخر، وتصبح الأنا بعيدة عن التعارف والانسجام معه ولكن من خلال العلاقة ، التي تنشأ بين الذات والآخر يأتي بفضلها السلام ، وتتجلى في ذلك أخلاق الانسجام ؛ لأن العنف والحرب يولد المعاناة ، وهي مأساة تجعل الآخر في عزلة قاطعة التي ينتج عنها تعصب وفرار بسب عدم وجود أي ملجأ وهذا هو الحرب هو حقيقة إجبارهم على الحياة ، ولكي نكون بهذا المعنى، فالمعاناة تظهر بوضوح جداً في إبطال الذات الارتباط الوثيق والمحكم بالمقابل الذي يمارس عليها القوة والعنف. (١٤٨)

يقول ليفيناس بأن حالة الحرب هي توقف علم الأخلاق لكن الخطأ هو أن تفهمها على أنها ظاهرة خارجية وهذا معناه أيضاً أنك تخطيء تماماً في فهم طبيعة الظواهر الخارجية ومعناها الميتافيزيقي فالحرب ليست خارجية بل هي داخلة في الكائن ولذا كانت الحرب لها علم الوجود العام (أنطولوجيا) وكل نضال أو كفاح هو تمزيق لكيان الكلي وفلاسفة الحرب هم فلاسفة الكل ، والسلام عندهم لا يخرج عن أنه إعادة التصالح بين الكائن وذاته ، وكانت هناك فلسفات أرادت أن تؤسس العلاقات الإنسانية ، وسعادة الوعي على هدفية الحرب. (١٤٩) بون شاسع هنا وقع فيه ليفيناس بين فكره وأقواله المنمقة ، وما أخفاه في قرارة نفسه من دعم لبني جلدته من اليهود للقتل والعنف والإرهاب.

يرى لفيناس في اليهودية قيم تمنع العنف والقهر والاستبداد ورفض كل مظاهر الاضطهاد ؛ لأن الشعب اليهودي يرى في نفسه أنه شعب مميز عن باقي الشعوب لذلك هو منزه ، كما يعتبر الدافع الأساسي لجعل ليفيناس يتحدث عن العنف والآخر هو معاناة اليهود أيام الحرب النازي ١٩٤٨ ، كما ينتزع ليفيناس الاضطهاد من تمظهراته التاريخية الملموسة ليؤسس جوهراً لا زمنياً لليهودية كما يبدو إذا صح هذا فإن جدل تاريخي مضاد يمكن أن يدحض، لا كما يمكن لليهود أن يوقعوا الاضطهاد بهذا الشكل إلى ما تعاني منه إسرائيل. إذا كان اليهود يعدون مختارين لأنهم حملة الرسالة الشمولية بحسب ليفيناس هو الهيكلة التدشينية للذات بوساطة الإضطهاد والمطلب الأخلاقي إذن

يصبح اليهودي نموذج وبرهان دال على الإضطهاد. ما قبل الأنطولوجي. (١٥٠) دعوة براقة تلقفتها العقول في العالم الإسلامي غير أنها في ظاهرها الرحمة ومن باطنها العذاب والعنف والدماء. يري ليفيناس: " أنا لا أقول إن الناس قديسين، أو يتجهون نحو القداسة أنا – فقط أقول – إن الدعوة إلى القداسة هي المعرفة يتم تحديدها من قبل جميع البشر كقيمة، وهذا الاعتراف هو الذي يحددها الإنسان. " (١٥١)

على الرغم من التلميحات العنصرية التي تنبثق من أن الآخر في فلسفة ليفيناس كان يقصد به الشعب اليهودي، ولا سيما في وصفه للجار كرمز لهذا الشعب، ما يعني أن فلسفة ليفيناس (التعايش) اهتمت بحقوق الإنسان عندما أعطت السبق للآخر أمام الأنا، فحضور الآخر بقوة يجعله، يأخذ أشكالا غير مسبوقة فلسفيا ففكرة اللقاء مع الآخر، هي ضرب من اللقاء مع اللامتناهي الذي يوجد في نفسي دون ان أمتلكه أو أن أعرفه، ولا يسعني إلا أن " أتشوق " إليه ، فثمة أمر أخلاقي يسبق وجودنا وهو حضور الآخر. (١٥٢)

٣ – إن دعوات الغيرية عند ليفيناس ما هي إلا نظرات طوباوية تنشد بناء مشاريع فكرية وهمية تستمد قوتها من غواية الخير والرغبة اليوتوبية في بناء مدن فاضلة لا وجود لها على أرض الواقع الفعلي.

٤– الفلسفة تنطلق من الواقع وتحلل مشكلات وتقدم اقتراحات نظرية قابلة للتطبيق، فالجانب النظري الذي تقدمه الفلسفة مهم للغاية للجانب العلمي كمخطط للاسترشاد والانطلاق من رؤيته. فالفكر النظري يحتاج إلى من يترجمه إلى عملي ما يمكن أن نستنتجه مما سبق أن المسئولية عند ليفيناس ليست خياراً بل جبراً بحكم الطبيعة البشرية فأنا مجبر على أن أكون مسئولا عن الآخر مهما تعددت صور الآخر. أكان أباً أم أخاً أم صديقاً أم عدواً أم نظرية فكرية أم كياناً سياسياً أم مدرسة اجتماعية أم تحالفاً بشرياً أنا مرتبط مع كل هؤلاء بعلاقة مسئولية أتت مع طبيعة وجودي بينهم أنا لست وحيداً فرداً منعزلاً ، بل إنسان وكائن اجتماعي قامت علاقاته مع الآخرين تحت مظلة المسئولية.

٥ – مبدأ المسئولية هذا لا يعترف بردة الفعل أو بقانون كما تعاملني أعاملك بل هي في اتجاه واحد، من الأنا إلى الآخر ولا يخضع لمبدأ المبادلة أو المقايضة هي مسؤولية غير مشروطة لذا ناهض الحرب والظلم ، وناصر السلم والعدل ، وهنا يركز ليفيناس على فكرة استعباد وقتل الآخر لأن القتل مستحيل أخلاقياً.

٦ – إن تجربة الآخر تتحول إلى تمجيد للشعور بالذنب، حتى قبل أن أقوم بأي شيء أنا مذنب في نظر نداء الآخر، وهذا إجحاف في حق الذات أو الأنا . فقد ناضل من اجل

صوت الآخر لكنه وقع في إسكات الأنا ضمنياً ، ونجد ليفيناس في تمجيده للآخر يقع في تفضيل القديس على المقدس، الحامل للوثنية الجديدة للأرض والمكان، خصوصا عندما يجعل الإلهي في العلاقة المتبادلة بين البشر، فمثلاً يكتب يرتهن الرابط بين الله والإنسان بعلاقة الإنسان بالإنسان ، العلاقة التي يتحمل الإنسان مسؤوليتها الكاملة، كما لو أنه لا وجود لإله يعتمد عليه ، وهذا ما يفتح باب الجدل الواسع.

نتائج الدراسة:

بعد أن تناولت صورة الأخلاق الإسلامية في فلسفة ليفيناس ونقد الفصام الفلسفي عنده ، توصلت إلي بعض النتائج من هذه الورقة البحثية – المتواضعة – والتي من أهمها:

١ – تنوعت مصادر فكر إمانويل ليفيناس حيث كان في بدايته متأثراً بتنشئته الأسرية اليهودية ، لهذا كان قارئ ومؤولاً للمصادر اللاهوتية، ساهمت بقسط كبير في تشكيل وبلورة مشروعة الفلسفي الواعد، من خلال استفادته من التراث اليهودي ، وخاصة الكتاب المقدس التوراة الذي اعتبره بمثابة مرجعية فكرية لفلسفته وإضفاء الجانب الأخلاقي عليه. فنادي ليفيناس إلى تطوير علاقة أخلاقية تسعى إلى التكامل بدل الإقصاء، ويقصد بعدم الإقصاء هنا اليهودية فقط ، غير مبالٍ بالدين الإسلامي الحنيف في نزعة عنصرية بغيضة. فحاول ليفيناس من خلال فلسفته الايتيقية الجديدة أن يبحث في شروط تحسين الذات وعلاقتها بالآخر وأن تكفر عن كل التجاوزات التي ارتكبتها في حق الآخر، من خلال تاريخ طويل في طمس هوية الآخر ، وعدم الاعتراف بغيريته المختلفة ورده إلى مجرد أنا أخرى، وتكفيراً منه عن خطأ الفلسفة والفلاسفة ، وهو الأمر الذي وقع فيه حين رأي أن الأنا والآخر هو اليهودي المتميز والمتفرد عن العالم.

٢ – حرر ليفيناس الذات من وهم الأنانية التي تسجن الإنسانية في دائرة الخوف من الآخر، فوقف في وجه كل فلسفة تنظر إلى الآخر بأنانية أو تخضعه لمقولات الكلية ، ويمثل الوجه حجر الزاوية في فلسفة ليفيناس ، فالوجه هو ما يحدد هوية الذات، وهو التعبير عن التفرد البشرى وعن جوهر الإنسان الفردي، ومن خلال الوجه يتم التجلي المقدس لله. وقد عُد ليفيناس هذا التجلي المقدس للوجه بمثابة منظور فلسفي يتصدى لتلك النظرة الدونية الاحتقارية للآخر من طرف الذات، فكان بمثابة رد فعل مباشر لتلك الرؤية الأنانية التي سادت معظم تاريخ الفلسفة الغربية، ومن ثم جاء هذا التجلي ليعيد الآخر إلى دائرة اهتمام الأنا بشكل يجعل الأنا مسئولة بصورة كاملة عن الآخر، بل وحارسة له، ومؤكدة على حضور ثقافة الاختلاف ، وداعية إلى العيش سوياً ، ومنع هيمنة الأنا على الآخر ، إذ يؤكد دوماً على ضرورة أن تكون هذه العلاقة علاقة تواصل ومشاركة، علاقة قائمة على المحبة المتبادلة ، علاقة روحية لا نزاع فيها ، قائمة على الاعتراف بالآخر والتواصل معه، إنها علاقة مشاركة ومحبة قوامها الاحترام المتبادل والشعور بالمسئولية تجاه الأخر.

٣ – ساهمت الظروف الحياتية لليفيناس وديانته اليهودية ومعايشته للعديد من الأحداث في صنع وبلورة فكرة، والذي جاء منحازاً لمعتقده ، ومن ثم لم يدرك أن الإسلام استوعب العناصر الإيجابية في الأديان السابقة عليه كلها، وخلّص الأنا والآخر من كل ما علق به من تصورات. ومع أن برهنة ليفيناس على ضرورة الدين – اليهودي طبعاً – تستحق الإعجاب، فإن عرضه جاء مخيبًا للآمال؛ لأنه مخالف في أحيان كثيرة للواقع، حيث أعاد تركيب الواقعي وفق نسق من عنديات، بهدف خدمة أغراض عقائدية تارة، وأغراض سياسية تارة أخرى ، ولذا وجدنا تناقضات غير هينة، وأخطاء متعمدة غير قليلة، وقفزاً على التاريخ في أحيان كثيرة، وعدم اتساق مع روح المنهج التوافقي بين الأنا والآخر في أحيان أكثر. رغم أنه قدم حلولاً لتجاوز مآسي الإنسانية من منطلق مناداته بالحب والاعتراف والطيبة إزاء الآخر، وضرورة جعل الأنا حريصة على الآخر، مؤسساً بذلك لكوجيتو حب الغير بمقابل كوجيتو الأنا المتورمة على ذاتها الخالقة لأزمات أخلاقية وإنسانية ما زالت آثارها إلى يومنا هذا ، غير أن هذا لا يشفع له من ناحيتنا.

٤– همش ليفيناس مبدأ المسؤولية في الإسلام فلم يجد مبدأ أخلاقياً يؤسس علاقته مع الآخر إلا مبدأ المسؤولية – من وجهة نظر اليهودية – على أن تحل هذه المسئولية محل مبدأ الحرية الغامض ، وأصبحت الأنا مع ليفيناس لا تعنى الأنا الحرة التي تفعل ما تشاء بشرط ألا تلحق الأذى المادي بالآخر، بل تعنى الامتناع عن ممارسة العنف تجاه الآخر مهما كانت صورة هذا العنف ، سواء قل في صورته الإقصائية أم كثر في صور حالات القتل والإرهاب. بهذا المعنى تتحدد العلاقة مع الآخر، فهي علاقة تقوم على الإحساس بالمسئولية تجاهه ، إحساس يجعل تملك الآخر أو الهيمنة علية أمراً غير مشروع.

٥– الأخلاق من منظور الدين اليهودي فقط عند ليفيناس ليست مبحثاً أساسياً من مباحث الفلسفة كما يفترض ذلك التقسيم الكلاسيكى لمباحث الفلسفة، وإنما هي الفلسفة الأولى على خلاف ما يفترضه تاريخ الفلسفة من النظر إلى الإبستمولوجيا أو الميتافيزيقا ، فكل المواقف في الفلسفة لدى ليفيناس تعتمد مقدماً على الأخلاق ؛ ضمن مقولات الوجود، وذلك لا يجعل من الايتيقا المسئولية الشاملة تجاه الغير، ولذلك أطلق ليفيناس على وضع عفوية الأنا كموضع سؤال أمام حضور الغير ايتيقا، بل إن ليفيناس قدم الايتيقا على الدين واستبدلها به فلم يجعل ليفيناس التعاليم التلمودية مصدراً للأخلاق ؛ لأن التجلي المقدس لوجه الآخر هو مصدر كل فعل أخلاقي لا المقدس الديني التوراتي أو التلمودى.

٦ – وضع ليفيناس شروطاً لعلاقة الأنا مع الآخر منها: لابد للناس أن يبتعدوا عن الترف والبذخ الحضاري وأن يعيشوا حياة عادية ويتقاسموا الحد الأدنى من الحياة ، كذلك يجب التكافل والتضامن لتحقيق الوحدة ولنفهم أبعاد كل خطر يواجه الإنسانية وتقوم بردعه وهذا هو شعار السلام الدائم. وأخيراً لابد أن نتعلم كيف نكون أقوياء في العزلة ، وأن نجعل من ضعف وعينا قوة. متجاهلاً الدين الإسلامي الحنيف الذي يحمل نفس المبادئ.

٧ – تعتبر فلسفة ليفيناس حول الأنا والغيرية نقطة تحول جذري في الفكر الفلسفي، حيث نقلت الفلسفة من الأنطولوجيا إلى الأخلاق، ورأت في الاعتراف بالآخر شرطاً لتأسيس علاقة أخلاقية حيث يصبح الآخر شرطاً لهوية الذات ، ووظيفة الأنا خدمة الآخر بل وحراسته ، وضرورة معاملة الآخر معاملة إنسانية بعيدة عن العنف.

– هوامش الدراسة.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) سورة هود: الآيتان ١١٨ – ١١٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٤) سورة الممتحنة: الآيتان ٨ – ٩.

(٥) في اعتقادي أن أول دارسة عربية عن ليفيناس هي تلك التي كتبها التونسي مصطفى كمال فرحات الذي تتلمذ على يد ليفيناس في السربون، والمعنونة بـــــ: صـــرف الكينونة بين ليفيناس وهيدجر (حرب الايطيقا ضد الانطولوجيا)، ونشرتها مجلة البحث الفينومينولوجية التأويلية بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية، (مجلد١)، منـشورات دار المعلمين العليا، تونس دار السحر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦ ثم أعادت نشرها مجلة أوراق فلسفية، العدد السابع عشر، القاهرة، ٢٠٠٧،(ص ١٠٩ –١٥٦)

(٦) إيمانويل ليفيناس **Emmanuel Levinas** فرنسي من أصل ليتواني (١٩٠٦–١٩٩٥) درس الفلسفة في جامعة فرايبورغ حيث كان يعلّم إدموند هوســرل ومــارتن هايدغر، عرّف بعده الجمهور الفرنسي بأونطولوجيا هايدغر في كتابه اكتشاف الوجود مع هوسرل وهايدغر ، أما فلسفته الخاصة في الوجود فقد عرضها في كتابيــه مــن الوجود إلى الموجود ١٩٤٧ ، والزمان والآخر ١٩٤٨ ، وهي تقوم على نظرية في الأخلاق تجربتها الأساسية هي تجربة نظرة الآخرين،وفــي مؤلفــه الرئيــسي الكليــة واللامتناهي ، ويرتكز كل مجهوده على أن يثبت أن الميتافيزيقا، على أنها تجاوز باتجاه الآخر.

– جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة (الفلاسفة – المناطقة – المتكلمون – اللاهوتيون – المتصوفون)، ط ٣ ، دار الطليعة، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٥٨٣.

(٧) محمد بكاي: أخلاقيات التعامل مع الآخر تأملات في فلسفة الغيرية عند إيمانويل ليفيناس، وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، العــدد (٤٦) ، ســلطنة عمــان ، ٢٠١٤ ، ص ٢٨٨.

٨() Emmanuel Levinas: Totality and Infinity , An Essay on infinity , Ttrans, Alphonso Linqis Pittsburgh Duquesne University , Pross , ١٩٦٩ , p ١٣.

(٩) زهير خويلدي: فيلسوف الغيرية الأنا والآخر وجها لوجه ، جريدة العرب الأسبوعية ، لندن ٢٠٠٧/١٢/١٥ ، ص ١٠.

(١٠) جان فرانسوا دوريتيي: فلسفات عصرنا تياراتها أعلامها وقضاياها ، ترجمة إبراهيم صحراوي، ط، الدار العربية للعلوم، لبنان ٢٠٠٩، ص ٢٦٩.

(١١) جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، ط ١، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان ، ٢٠٠١، ص ٦٦.

(١٢) إيمانويل ليفيناس: مفارقة الخلقية حوار مع إيمانويل ليفيناس حاوره تامرا رايت ، واليسون آينلي ، مجلة الاستغراب ، العدد العاشر ، المركــز الإســلامي للدراســات الاستراتيجية ، بيروت ، ٢٠١٨ ، ص ١٢.

(١٣) Emmanuel Levinas: Ethics and infinity.conversation with philippe wemo ,hereafter ,trans Richard acotten ,Pittsburgh:Duquesne university press ١٩٨٨ , Op , Cit , p ٨٦.

(١٤) Emmanuel Levinas: Of God Who Comes To Mind , translate by bergo ,stanford ca Stanford University , press , ٢٠٠٥ , P.١٣٧

(١٥) علي قصير: ايمانويل ليفيناس فيلسوف الغيرية البناءة، مجلة الاستغراب، العدد (١٠) السنة الرابعة، ٢٠١٨، ص ٢٩٥.

(١٦) Emmanuel Levinas: Of God Who Comes To Mind , Op , Cit , P ١٤٢.

(١٧) Emmanuel Levinas: Entre Nous: Thinking-of-the-Other، trans. Michael B. Smith and Barbara Harshav , New York: Columbia University Press , ١٩٩٨ , p.١٨٠.

(١٨) Emmanuel Levinas: Outside the Subject، trans. Michael B. Smith،Stanford، California , Stanford University Press , ١٩٩٣ , p. ١٧.

(١٩) جاري جيتينج: ليفيناس الكلي والأخر، ترجمة، بدر مصطفى ، مجلة أوراق فلسفية، العدد (١٣)، القاهرة ، مصر، ٢٠٠٤، ص ٣٨٣.

(٢٠) جون ليشته: خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلي ما بعد الحداثة ، ترجمة فاتن البستاني ، طـــ ١ ، مركز دراسات الوحدة العربيــة ، لبنــان ، بيــروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٤١.

(٢١) فضيلة سنوسي: الأخلاق التطبيقية عند إيمانويل ليفيناس ، مجلة متون، العدد (٩)، جامعة سعيدة، الجزائر، ٢٠١٤ ، ص٢٧٩.

(٢٢) أحمد عبد الحليم عطية: الفكر الأخلاقي الجديد ودراسات أخرى ، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦ ، ص ٢٠٠.

(٢٣) Emmanuel Levinas: Alterity and Transcendence , Trans. Michael B. Smith (New York: Columbia University Press , ١٩٩٩ , p ٨٠

(٢٤) Emmanuel Levinas: Totality and Infinity , An Essay on infinity , p.١١٧

(٢٥) رحيم عمر: فينومينولوجيا الوجه والايروس عند ايمانويل ليفيناس، رسالة ماجستير غير منشورة، شعبة الفلسفة، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الإنسانية ، والعلوم الاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر – ٢٠١٥ – ٢٠١٦ ، ص ٣٢.

(٢٦) Emmanuel Levinas: The Theory of intuition in Husserls phenomenology , Trans By Andre Oriann,٢nd edn (Evanston lllinois: Northwestern University press , ١٩٩٥.

(٢٧) عمر بدرى: ليفيناس والتيار الفينومينولوجيا، مجلة دراسات فلسفية ، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، العدد (٣) نوفمبر ، ٢٠١٤، ص ٦١.

(٢٨) ريطو طوكسانو: مدخل إلى فلسفة ليفيناس، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، منشورات الاختلاف العدد (١٨)، ٢٠٠٠، ص ٩.

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٣

(٣٠) عمر بدري: ليفيناس والتيار الفينومينولوجي، مرجع سابق ، ص ٦٢.

(٣١) رحيم عمر: فينومولوجيا الوجه والإيروس عند إيمانويل ليفيناس، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣٢) Emmanuel Levinas: Totality and Infinity- An Essay on Exteriority , Op , Cit , P. ٢٠٧.

(٣٣) Emmanuel Levinas: Difficult Freedom , Essays on Judaism , trans. by Sean Hand ,the Johns Hopkins University press , Paltimore,١٩٩٧, p.٢٩٤.

(٣٤) ريطو طوكسانو: مدخل إلى فلسفة ليفيناس، مرجع سابق، ص ٣.

(٣٥) Richard Kearney and Emmanuel Levinas , Dialogue With Emmanuel Levinas.in Face to Face With Levinas , ed by Richard A. Cohen (Albany , New York State University of New York press , ١٩٨٦ , pp ١٣ – ٣٣ (p. ٢٧)

(٣٦) رياض طاهر، فاروق جباري: الأنا والآخر في فلسفة ليفيناس وإشكالية تجاوز البعد الأنطولوجي، ملتقى وطني حول إشكالية الهوية بين التأويل الأيــديولوجي والفهــم العقلاني ، بدون دار نشر ، وتاريخ ، ص ٤.

(٣٧) إيمانويل ليفيناس: مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس من الفينزمولوجيا الى الإتيقا–إنسانية الإنسان الحرب والعنف المدني ، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطــابي، طـــ ١ ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٣ ، ص ١٤.

(٣٨) رحيم عمر: فينومينولوجيا الوجه والأيروس عند ايمانيويل ليفيناس، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٣٩) جويل هنسل: ليفيناس من الوجود إلى الغير ، ترجمة على بوملحم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٣.
(٤٠) Emmanuel Levinas: Totality and Infinity , An Essay on infinity , Op , Cit , p.٢٨١.
(٤١) خالد العارف، مصطفى العارف: ترجمة نص المطابق والمغاير حسب ليفيناس، مجلة الدراسات والأبحاث، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، ٢٠١٧، ص ٥.
(٤٢) ايمانويل ليفيناس: الذات والآخر، ترجمة جلال بدلة ، معابر للنشر والتوزيع، ط١، دمشق، ٢٠١٤، ص ٣٦.
(٤٣) خالد العارف، مصطفى العارف: ترجمة نص المطابق والمغاير حسب ليفيناس ، مرجع سابق، ص ٠٤
(٤٤) سلمى بالحاج مبروك: ايتيقا المسئولية تجاه الآخر عند إيمانويل ليفيناس أو الأنا حارس الآخر ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥، ص ٢.
(٤٥) سلمى بالحاج: ايتيقا المسئولية تجاه الآخر عند إيمانويل ليفيناس أو الانا حارس الآخر، مرجع سابق ، ص ٢.
(٤٦) محمد الجوة. مسائل فلسفية، مركز النشر الجماعي، تونس، ٢٠٠٠، ص ٢٨٣.
(٤٧) ايمانويل ليفيناس: الزمان والأخر، ط ١، ترقية جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٤، ص ١٥.
(٤٨) غيضان السيد على: الغيرية والتجلي المقدس لوجه الأخر عند ليفيناس، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، المغرب، ٢٠١٨، ص ٢.
(٤٩) البنذاتية : يرتبط مفهومها بالفلسفة الفينومينولوجية ويفيد علاقة التشارك والمعية " من مع " وهي تعني أن وعي الذات بذاتها مشروط بما نستنتجه من علاقات مع الذوات الأخرى وفي إطار علاقة انفتاح وتشارك، من جهة إثبات اشتراط تحقق الإنساني في الانفتاح على الغير فبأي معنى يمثل الانفتاح على الغير شرط تحقق الإنساني في الإنسان ؟ أن يميز الوجود الإنساني بانطلاق عن الوجود الحيواني حسب هيجل هو انفراد الإنسان بميزة الوعي بالذات. إن هذا التحديد الأولي للإنساني بما هو وعي بالذات يحيل مباشرة مع التحديد الديكارتي لحقيقة الإنسان.
(٥٠) Emmanuel Levinas: Of God Who Comes to Mind , P. ١٠٧.
(٥١) صابرين زغلول: تناظر الهوية والدين مسعى لاستقرار تأويلية ايمانويل ليفيناس، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، لبنان ، العدد (١٠)، ٢٠١٨، ص ٢٢٨.
(٥٢) غيضان السيد على: الغيرية والتجلي المقدس لوجه الأخر عند ليفيناس، مرجع سابق، ص ١٦.
(٥٣) عبد الباسط المبروك الشبلي: الأنا والآخر المفهوم والتأصيل، العدد (٢٠)، المجلد (٢)، كلية الآداب جامعة الزاوية، ٢٠١٥، ص ١٤٥.
(٥٤) عبد اللطيف الخميس: الفلسفة ونقد مفهوم التواصل مع التأسيس المعرفي إلى البناء القيمي، دار الكتابات العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ٢٩.
(٥٥) سيف الوهيبي: صوت الآخر في فلسفة إيمانويل ليفيناس، مجلة شباب التفاهم ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالتعاون مع الرؤية، العدد (٥٥)، ابريل ٢٠١٩، ص ٧.
(٥٦) Emmanuel Levinas: Totality and infinity An Essay on Exteriority , p ٢٠٧
(٥٧) مصطفى كمال فرحان: صروف الكينونة بين ليفيناس وهيدجر حرب الايطيقا ضد الانطولوجيا ، مجلة أوراق فلسفية ، العدد (١٧) القاهرة، ٢٠٠٧ ، ص ١٤٩.
(٥٨) تيرى ايجلتون: مشكلات مع الغرباء دراسة في فلسفة الأخلاق ، ترجمة عبد الرحمن مجدي ، مصطفي محمد فؤاد ، مؤسسة هنداوي سي أي سي ، ٢٠١٧، ص٢٦٢.
(٥٩) جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ط١، مرجع سابق، ص ٠٦٦
(٦٠) علي قصير: ايمانويل ليفيناس فيلسوف الغيرية البناءة، مرجع سابق ، ص ٢٨٦.
(٦١) Emmanuel Levinas: Time anti the Other , Translated by Richard A. Gohen , Pittsburgh: Duquesne University Press, ١٩٨٧.p ٧٥.
(٦٢) أحمد إبراهيم: إيمانويل ليفيناس وفلسفة الآخر، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد (٣٣)، ٢٠١٢، ص ١٨٩.
(٦٣) ……: Alterity and Transcendence , Op , Cit , p ١٦٩.
(٦٤) ……: Collected Philosophical papers translated by Alphonso Linges Martin Najhoff Publishers ، Dordrecht ، the Netherlands ، ١٩٩٧ ،p :xxix.
(٦٥) ……: Totality and Infinity – An essay on Exteriority , Op , Cit , P ٢٠٧.
(٦٦) ……: Ethics and Infnity Conversation With Philippe Nemo-trans , By Richard Cohen , Duquesne Unive – sity Press , Pittsburg , Pa , ١٩٨٥ , P. ٨٥ – ٨٦.
(٦٧) ……: Totality and Infinity – An essay on Exteriority ,Op , Cit , P. ١٩٤.
(٦٨)……: Ethics and Infnity Conversation With Philippe Nemo , Op , Cit , P.٨٦.
(٦٩)……: Totality and Infinity – An essay on Exteriority , Op , Cit , P. ١٨٩.
(٧٠)……: Ethics and Infnity Conversation With Philippe Nemo , Op , Cit , P.٨٦.
(٧١)……: Totality and Infinity – An essay on Exteriority , Op , Cit , P. ٢١٨
(٧٢) Richard Kearney States of Mind , Dialogues With The European Mind , Op , Cit , p. ١٨٩
(٧٣) Emmanuel Levinas: Entre - nous or Thinking of The – Other , Op , Cit , p١٨٥
(٧٤)……: Difficult Freedom , Op , Cit , pp. ٦-١٠
(٧٥)……: Ethics and Infnity Conversation With Philippe Nemo , Op , Cit , P.٨٩
(٧٦)……: Totality and Infinity – An essay on Exteriority , Op , Cit , P. ٢٠٧
(٧٧)……: Difficult Freedom , Essays on Judaism , Op , Cit , p٢٩٤
(٧٨)……: Totality and Infinity – An essay on Exteriority , Op , Cit , P. p٢٦٢.
(٧٩)……: Ethics and Infinity Conversation With Philippe Nemo , Op , Cit , P. ٨٦
(٨٠) أحمد إبراهيم: ايمانويل ليفيناس وفلسفة الآخر، مرجع سابق، ص ١٨٩.
(٨١) ايمانويل ليفيناس: الزمان والأخر، مصدر سابق ، ص ٩٣.
(٨٢) إسماعيل مهنا وآخرون: من الكينونة إلى الأثر: هيدجر في مناظرة عصره، إشكالية المعني فى أفق الايتيقا ، طـ ١ ، ابن النديم للنشر والتوزيع، لبنان ، ٢٠١٣، ص ١٦٥.
(٨٣) تيرى ايجلتون: مشكلات مع الغرباء دراسة في فلسفة الأخلاق ترجمة عبد الرحمن مجدي، مصطفى محمد فؤاد ، مؤسسة هنداوى المملكة المتحدة، ٢٠٠٧ ، ص ٢٥٧.
(٨٤) درقام نادية: الآخر الأنثى في فلسفة ايمانويل ليفيناس، مجلة لوتموس، العدد (١٠)، ٢٠٢٠، ص ٢١.
(٨٥) ايمانويل ليفيناس: الزمان والأخر، مرجع سابق، ص ١١.
(٨٦) غيضان السيد على: الغيرية والتجلي المقدس، مرجع سابق ، ص ٢٥.
(٨٧) فضيلة سنوسي: الأخلاق التطبيقية عند ايمانويل ليفيناس ، مرجع سابق، ص ٢٧٦.
(٨٨) Emmanuel Levinas: Otherwise Than Being Or Beyond Essence translated by Alphonso Lingis , Kluwer Academic publishers , Netherlands , ١٩٩١ , P ١٤٤.

(٨٩) محمد بكاى: أخلاقيات التعامل مع الآخر ، مرجع سابق ، ص ٢٨١.
(٩٠) فضيلة سنوسى: الأخلاق التطبيقية عند ايماتويل ليفيناس، مرجع سابق ، ص ٢٧٦.
(٩١) سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٩٢) نور الدين أقاية: الغرب المتخيل صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٦١.
(٩٣) سورة الفاتحة: الآية ٥.
(٩٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٧٩٠٢-٧٨٨٩)، والطبرانى فى المعجم الأوسط(٤٧٤) والمعجم الصغير(٩٠٧)، والبيهقى فى الشعب (١٠٥٨٦)، وذكره الهيثمى فى المجمع (١٧٨١٨)، وذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة (١١٨٢)
(٩٥) هادي قبيسي: الآخرية المتعالية نحو رؤية وحيانية حول مفهوم الآخر ، مجلة الاستغراب ، العدد (١٠) بيروت ، لبنان ، ٢٠١٨، ص ١١٩.
(٩٦) روجيه باول دروا: أساطين الفكر، عشرون فيلسوفاً صنعوا القرن العشرين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ٢٠١٢ ص ٢٣٩.
(٩٧) أنظر رشيد بوطيب: نقد الحرية: مدخلٌ إلى فلسفة إماتويل ليفيناس ، بيروت :منشورات ضفاف؛ الجزائر : منشورات الاختلاف ، ٢٠١٨.
(٩٨) Emmanuel Levinas: Totality and Infinity – An essay on Exteriority , Op , Cit , P..٨٢-٨٣
(٩٩) أمينة عواد: ليفيناس وفلسفة الحضور الأخلاقي للوجه ، صحيفة المثقف ، العدد (٥١٤٩)، السبت ٢٠٢٠/١٠/١٠
(١٠٠) المرجع السابق نفس الموضع.
(١٠١) زيدان عبد الباقي: أسس المجتمع الإسلامي والمجتمع الشيوعي ؛ دراسة مقارنة، سلسلة الثقافة الاجتماعية الدينية للشباب، توزيع دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥ ، ص ٩٧.
(١٠٢) زيدان عبد الباقي: أسس المجتمع الإسلامي والمجتمع الشيوعي ؛ دراسة مقارنة، مرجع سابق ، ص ٩٩.
(١٠٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.
(١٠٤) سورة البقرة: الآية ٢٩.
(١٠٥) سورة الحج: الآية ٦٥.
(١٠٦) صحيح البخاري عن النعمان بن بشير، كتاب الشركة، باب هل يُقرع في القسمة. والترمذي أبواب الفتن رقم (٢١٧٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح
(١٠٧) عاصم أحمد عجيلة: حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي، ط٢، الناشر عالم الكتب، ١٩٩٠، ص ٦٦.
(١٠٨) سورة الحجرات: الآية ١٤.
(١٠٩) سورة يونس: الآية ٩٩.
(١١٠) صابر عبد الرحمن طعيمة: الإسلام والثورة الاجتماعية، ط١، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٩٨.
(١١١) عمر بوكيلى: التربية على التسامح في الدين التوحيدي عند ليفيناس، مركز أفكار للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٠، ص ٢
(١١٢) المرجع السابق، ص ١٣٠.
(١١٣) سلمى حاج مبروك: ايتيقيا المسؤولية تجاه الآخر، عند ايماتويل ليفيناس، أو الأنا حارس للآخر، مرجع سابق، ص ٠٧
(١١٤) عبد الرحمن النحلاوي: الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي، من خلال المبادئ والاتجاهات التربوية عند التاج السبكي، المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٨٢.
(١١٥) علي جريشة: أصول الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٨٤.
(١١٦) علي خليل أبو العينين: أهداف التربية الإسلامية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة ، ١٩٨٧ ، ص ٤٣.
(١١٧) قطب محمد: منهج التربية الإسلامية، ج١، دار الشروق، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٢٠.
(١١٨) عمر بوكيلى: التربية على التسامح في الدين التوحيدي، مرجع سابق،، ص ٣.
(١١٩) جيرش بغداد محمد: النزعة الإنسانوية الجديدة ، مجلة متون العلوم الاجتماعية، المجلد (٨) العدد (٣)، الجزائر ٢٠١٦، ص ٦٩.
(١٢٠) Emmanuel Levinas: Totality and Infinity – An essay on Exteriority , Op , Cit , P. ٢٨٥
(١٢١) محمد بكاي: الإتيقا والغيرية تجليات الموجود في فلسفة الأخلاق عند إيماتويل ليفيناس ، ط١ ، ضمن كتاب جماعي: الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الاجراء ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ، لبنان ، الجزائر ، ٢٠١٣ ، ص ٤٠٠.
(١٢٢) Richard Kearney States of Mind , Dialogues With The European Mind , Op , Cit , p. ١٨٨
(١٢٣) الدراجي زروخي: فنيات الخطاب الفلسفي ، ط ١، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، ٢٠١٩، ص ١٧٦.
(١٢٤) محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار ، ترجمة مصطفى ماهر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٧٧.
(١٢٥) عبد الحليم حفني: جوهر الإسلام ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٢٤٨.
(١٢٦) سورة البقرة: الآية ١٠٩.
(١٢٧) أحمد فؤاد باشا وآخرون: موسوعة الحضارة الإسلامية , القاهرة ، وزارة الأوقاف , المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠٠٥ ، ص ص ١٥٢ – ١٥٣.
(١٢٨) سلمى بالحاج مبروك: ايتيقا المسئولية تجاه الآخر، مرجع سابق، ص ١٣.
(١٢٩) أمينة عواد: ليفيناس وفلسفة الحضور الأخلاقي للوجه ، صحيفة المثقف ، العدد (٥١٤٩)، السبت ٢٠٢٠/١٠/١٠
(١٣٠) Terry Eagleton: Trouble With Strangers: A Study Of Ethics , Wiley-Blackwell A john Wile & sons publications , Sussex, ٢٠٠٩ , p٢٣٢.
(١٣١) Gary Gutting. French Philosophy in the Twentieth Century , Cambridge University Press. U.K ٢٠٠١,p.٣٦٠
(١٣٢) Emmanuel Levinas: Entre- nous or Thinking of the other , Op , Cit , p١٨٠.
(١٣٣) ……: Entre- nous or Thinking of the other , Op , Cit , p١٨٦
(١٣٤) ……: Ethics and infinity.conversation with philippe wemo ,hereafter , Op , Cit , p ٨٦.
(١٣٥) ……: Time and The Other , Op , Cit , p.٧٠
(١٣٦).....: Entre- nous or Thinking of the other , Op , Cit , p١٨٦
(١٣٧).....: God Death and Time , translated by :Bettina Bergo ،Stanford , press university ، California ، ٢٠٠٠ ، p١٧.
(١٣٨).....: Entre- nous or Thinking of – The – Other , Op , Cit , P.١٨٦
(١٣٩) رحيم عمر: فينومينولوجيا الوجه والايروس عند ايماتويل ليفيناس، مرجع سابق ، ص ٧٤.

(١٤٠) سامي نصر لطف: الحرية المسئولة في الفكر الإسلامي ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٣٠٦. وكذلك:
– محمد أحمد خلف الله: مفاهيم قرآنية ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٥.

(١٤١) محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن ؛ دراسة مقارنة للأخـــلاق النظرية في القرآن ملحق بها تصنيف للآيات المختارة التي تكون الدستور الكامل للأخلاق العملية ، تعريب وتحقيق وتعليق دكتور السيد بدوي ، طـــ ٧ ، مؤسسة الرسالة ، دار البحوث العلمية ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٦.

(١٤٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(١٤٣) عبد السلام التونجي: مؤسسة المسئولية في الشريعة الإسلامية ، طـــ ١ ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ١٩٩٤ ، ص ٤١.

(١٤٤) سورة التكاثر: الآية ٨.

(١٤٥) سورة النحل: الآية ١١٦.

(١٤٦) مصطفى كمال فرحات، صروف الكينونة بين ليفيناس وهيدجر – حرب الإيطيقا ضد الأنطولوجيا، مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٤٧) محمد بكاي:أرخبيلات ما بعد الحداثة، رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى الإنعتاق ، ط٢ ، دار الرافدين، بيروت، لبنان، ٢٠١٧ ، ص ٣١٧.

(١٤٨) Emmanuel Levinas: Totality and Infinity , An Essay on infinity , p ٣٤٢.

(١٤٩) جان لاكروا: نظره شاملة على الفلسفة الفرنسية المعاصرة، ترجمة يحى هويدى، أنور عبد العزيز، تقديم أنور مغيث، المركز القومي للترجمة، القـــاهرة ، ٢٠١٦ ، ص ١١٦.

(١٥٠) جوديث بتلر: الذات تصف نفسها، ترجمة فلاح رحيم، ط ٢، دار التنوير، بيروت، لبنان،٢٠١٤ ، ص ١٧٢.

(١٥١) Paul Marcus,Being For The Other , Emmanuel Levinas, Ethical Living and Psychoanalysis,Milwaukee, WI: Marquette University Press, ٢٠٠٨ , p ٩٧.

(١٥٢) فتحي المسكيني: ما هو التعايش ؟ إجابة الفلاسفة، مجلة الدوحة، مجله ثقافية شهرية، وزارة الثقافة والفنون والتراث، العدد (٢٢) الدوحة، قطر ، يناير ، ٢٠١٦ ، ص ٧٠.

قائمة المصادر والمراجع.

أ: المصادر المترجمة إلي اللغة العربية.

١- ايمانويل ليفيناس: الذات والأخر، ترجمة جلال بدلة ، معابر للنشر والتوزيع، ط١، دمشق، ٢٠١٤.

٢-.....: الزمان والأخر، ط ١، ترجمة جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٤.

٣-.....: مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس من الفينزمولوجيا الى الإتيقا-إنسانية الإنسان الحرب والعنف المدني ، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، طـ ١، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٣.

٤- تيرى ابجلتون: مشكلات مع الغرباء دراسة في فلسفة الأخلاق ، ترجمة عبد الرحمن مجدي ، مصطفي محمد فؤاد ، مؤسسة هنداوي سي أي سي ، ٢٠١٧.

٥- جاري جيتينج: ليفيناس الكلى والأخر، ترجمة، بدر مصطفى ، مجلة أرواق فلسفية، العدد (١٣)، القاهرة ، مصر، ٢٠٠٤.

٦- جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، ط ١، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان ٢٠٠١.

٧- جان فرانسوا دوريتيي: فلسفات عصرنا تياراتها أعلامها وقضاياها ، ترجمة إبراهيم صحراوي، ط١، الدار العربية للعلوم، لبنان ٢٠٠٩.

٨ – جان لاكروا: نظره شاملة على الفلسفة الفرنسية المعاصرة، ترجمة يحى هويدى، أنور عبد العزيز، تقديم أنور مغيث، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠١٦

٩- جون ليشته: خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلي ما بعد الحداثة ، ترجمة فاتن البستاني ، طـ ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، بيروت ، ٢٠٠٨.

١٠- جوديث بتلر: الذات تصف نفسها، ترجمة فلاح رحيم، ط ٢، دار التنوير، بيروت، لبنان،٢٠١٤

١١- جويل هنسل: ليفيناس من الوجود إلى الغير ، ترجمة على بوملحم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨.

١٢- خالد العارف، مصطفى العارف: ترجمة نص المطابق والمغاير حسب ليفيناس، مجلة الدراسات والأبحاث، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، ٢٠١٧.

١٣- ريطو طوكسانو: مدخل إلى فلسفة ليفيناس، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، منشورات الاختلاف العدد (١٨)، ٢٠٠٠.

ب: المصادر الأجنبية.

١- Emmanuel Levinas: Of God Who Comes To Mind , translate by bergo ,stanford ca Stanford University , press , ٢٠٠٥.

٢-: .....Otherwise Than Being Or Beyond Essence translated by Alphonso Lingis , Kluwer Academic publishers , Netherlands , ١٩٩١ .

٣-:..... Alterity and Transcendence , Trans. Michael B. Smith (New York: Columbia University Press , ١٩٩٩.

٤-:..... Collected Philosophical papers translated by Alphonso Linges Martin Najhoff Publishers ، Dordrecht ، the Netherlands ، ١٩٩٧.

٥-:..... Difficult Freedom , Essays on Judaism , trans. by Sean Hand ,the Johns Hopkins University press , Paltimore,١٩٩٧.

٦-:..... Entre Nous: Thinking-of-the-Other، trans. Michael B. Smith and Barbara Harshav , New York: Columbia University Press , ١٩٩٨.

٧-:.....Ethics and infinity.conversation with philippe wemo ,hereafter ,trans Richard acotten ,Pittsburgh:Duquesne university press .

٨-:..... Ethics and Infnity Conversation With Philippe Nemo-trans , By Richard Cohen , Duquesne Unive – sity Press , Pittsburg , Pa , ١٩٨٥.

٩-:..... Outside the Subject، trans. Michael B. Smith،Stanford، California , Stanford University Press , ١٩٩٣.

١٠-:..... The Theory of intuition in Husserls phenomenology , Trans By Andre Oriann,٢nd edn (Evanston lllinois: Northwestern University press , ١٩٩٥.

١١-:..... Time anti the Other , Translated by Richard A. Gohen , Pittsburgh: Duquesne University Press, ١٩٨٧.

١٢-.....: Totality and Infinity , An Essay on infinity , Ttrans, Alphonso Linqis Pittsburgh Duquesne University , Pross , ١٩٦٩.

ثانياً: المراجع.

١: باللغة العربية.

أ- الكتب.

١- أحمد عبد الحليم عطية: الفكر الأخلاقي الجديد ودراسات أخرى ، دار الثقافة العربية، القـاهرة، مصر، ٢٠٠٦.

٢- أحمد فؤاد باشا وآخرون: موسوعة الحضارة الإسلامية , القاهرة ، وزارة الأوقاف , المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠٠٥.

٣- إسماعيل مهنا وآخرون: من الكينونة إلى الأثر: هيدجر في مناظرة عصره، إشكالية المعني فى أفق الايتيقا ، طـ ١ ، ابن النديم للنشر والتوزيع، لبنان ، ٢٠١٣.

٤- الدراجى زروخى: فنيات الخطاب الفلسفي ، ط ١، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، ٢٠١٩.

٥- جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة (الفلاسفة – المناطقة – المتكلمون – اللاهوتيون – المتصوفون)، ط ٣ ، دار الطليعة، لبنان ، بدون تاريخ

٦- رحيم عمر: فينومينولوجيا الوجه والايروس عند ايمانويل ليفيناس، رسالة ماجستير غير منشورة، شعبة الفلسفة، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الإنسانية ، والعلوم الاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر – ٢٠١٥ – ٢٠١٦.

٧ – رشيد بوطيب: نقد الحرية: مدخلٌ إلى فلسفة إمانويل ليفيناس ، منشورات ضفاف؛ الجزائر : منشورات الاختلاف ، بيروت، ٢٠١٨.

٨ – روجيه باول دروا: أساطين الفكر، عشرون فيلسوفاً صنعوا القرن العشرين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ٢٠١٢.

٩ – رياض طاهر، فاروق جباري: الأنا والآخر في فلسفة ليفيناس وإشكالية تجاوز البعد الأنطولوجى، ملتقى وطني حول إشكالية الهوية بين التأويل الأيديولوجي والفهم العقلاني ، بدون دار نشر ، وتاريخ.

١٠- زيدان عبد الباقي: أسس المجتمع الإسلامي والمجتمع الشيوعي ؛ دراسة مقارنة، سلسلة الثقافة الاجتماعية الدينية للشباب، توزيع دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥.

١١- سامي نصر لطف: الحرية المسئولة في الفكر الإسلامي ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ

١٢- صابر عبد الرحمن طعيمة: الإسلام والثورة الاجتماعية، ط١، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠

١٣- عبد الحليم حفني: جوهر الإسلام ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨.

١٤- عبد الرحمن النحلاوي: الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي، من خلال المبادئ والاتجاهات التربوية عند التاج السبكي، المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٩٨٨

١٥- عبد السلام التونجي: مؤسسة المسئولية في الشريعة الإسلامية ، طـ ١ ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ١٩٩٤.

١٦ – عبد اللطيف الخميس: الفلسفة ونقد مفهوم التواصل مع التأسيس المعرفي إلى البناء القيمي، دار الكتابات العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

١٧- علي جريشة: أصول الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة ، بدون تاريخ.

١٨- علي خليل أبو العينين:أهداف التربية الإسلامية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة،١٩٨٧

١٩- محمد أحمد خلف الله: مفاهيم قرآنية ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٨٤.
٢٠ - محمد الجوة. مسائل فلسفية، مركز النشر الجماعي، تونس، ٢٠٠٠.
٢١ - محمد بكاي: أرخبيلات ما بعد الحداثة، رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى الإنعتاق ، ط٢ ، دار الرافدين، بيروت، لبنان، ٢٠١٧.
٢٢ - محمد بكاي: الإتيقا والغيرية تجليات الموجود في فلسفة الأخلاق عند إيمانويل ليفيناس ، ط١ ، ضمن كتاب جماعي: الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعني إلي مأذق الاجراء ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ، لبنان ، الجزائر ، ٢٠١٣.
٢٣- محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن ؛ دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن ملحق بها تصنيف للآيات المختارة التي تكون الدستور الكامل للأخلاق العملية ، تعريب وتحقيق وتعليق دكتور السيد بدوي ، ط ٧ ، مؤسسة الرسالة ، دار البحوث العلمية ، ١٩٨٧.
٢٤- محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار ، ترجمة مصطفى ماهر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٧.
٢٥- نور الدين أفاية: الغرب المتخيل صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

ب: المجلات العلمية.

١- أحمد إبراهيم: إيمانويل ليفيناس وفلسفة الآخر، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد (٣٣)، ٢٠١٢.
٢- أمينة عواد: ليفيناس وفلسفة الحضور الأخلاقي للوجه ، صحيفة المثقف ، العدد (٥١٤٩)، السبت ٢٠٢٠/١٠/١٠
٣- إيمانويل ليفيناس: مفارقة الخلقية حوار مع إيمانويل ليفيناس حاوره تامرا رايت ، واليسون آينلي ، مجلة الاستغراب ، العدد العاشر ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، ٢٠١٨.
٤- جيرش بغداد محمد: النزعة الإنسانوية الجديدة ، مجلة متون العلوم الاجتماعية، المجلد (٨) العدد (٣)، الجزائر ٢٠١٦.
٥- درقام نادية: الآخر الأنثى في فلسفة ايمانويل ليفيناس، مجلة لوتموس، العدد (١٠)، ٢٠٢٠.
٦- زهير خويلدي: فيلسوف الغيرية الأنا والآخر وجها لوجه ، جريدة العرب الأسبوعية ، لندن ٢٠٠٧/١٢/١٥.
٧- سلمى بالحاج مبروك: ايتيقا المسئولية تجاه الآخر عند إيمانويل ليفيناس أو الأنا حارس الآخر ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥
٨- سيف الوهيبى: صوت الآخر في فلسفة إيمانويل ليفيناس، مجلة شباب التفاهم ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالتعاون مع الرؤية، العدد (٥٥)، ابريل ٢٠١٩.

٩- صابرين زغلول: تناظر الهوية والدين مسعى لاستقرار تأويلية ايمانويل ليفيناس، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، لبنان ، العدد (١٠)، ٢٠١٨.

١٠- عبد الباسط المبروك الشبلي: الأنا والآخر المفهوم والتأصيل، العدد (٢٠)، المجلد (٢)، كلية الآداب جامعة الزاوية، ٢٠١٥.

١١- علي قصير: ايمانويل ليفيناس فيلسوف الغيرية البناءة، مجلة الاستغراب، العدد (١٠) السنة الرابعة، ٢٠١٨.

١٢- عمر بدرى: ليفيناس والتيار الفينومينولوجيا، مجلة دراسات فلسفية ، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، العدد (٣) نوفمبر ، ٢٠١٤.

١٣- غيضان السيد على: الغيرية والتجلي المقدس لوجه الأخر عند ليفيناس، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، المغرب، ٢٠١٨.

١٤- فتحي المسكيني: ما هو التعايش ؟ إجابة الفلاسفة، مجلة الدوحة، مجله ثقافية شهرية، وزارة الثقافة والفنون والتراث، العدد (٢٢) الدوحة، قطر ، يناير ، ٢٠١٦.

١٥- فضيلة سنوسى: الأخلاق التطبيقية عند إيمانويل ليفيناس ، مجلة متون، العدد (٩)، جامعة سعيدة، الجزائر، ٢٠١٤.

١٦- مصطفى كمال فرحات: صرف الكينونة بين ليفنياس وهيدجر (حرب الايطيقا ضد الانطولوجيا)، ونشرتها مجلة البحث الفينومينولوجية التأويلية بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية، (مجلد١)، منشورات دار المعلمين العليا، تونس دار السحر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

١٧- مصطفى كمال فرحان: صروف الكينونة بين ليفيناس وهيدجر حرب الايطيقا ضد الانطولوجيا ، مجلة أوراق فلسفية ، العدد (١٧) القاهرة، ٢٠٠٧.

١٨ – هادي قبيسي: الآخرية المتعالية نحو رؤية وحيانية حول مفهوم الآخر ، مجلة الاستغراب ، العدد (١٠) بيروت ، لبنان ، ٢٠١٨.

ج: المراجع الأجنبية:

١- Gary Gutting. French Philosophy in the Twentieth Century , Cambridge University Press. U.K ٢٠٠١.

٢-Richard Kearney and Emmanuel Levinas , Dialogue With Emmanuel Levinas.in Face to Face With Levinas , ed by Richard A. Cohen (Albany , New York State University of New York press , ١٩٨٦.

٣-Terry Eagleton: Trouble With Strangers: A Study Of Ethics , Wiley-Blackwell A john Wile & sons publications , Sussex, ٢٠٠٩.